مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للاساتذة :

الدكتور محمد مصطفى حلمى
الدكتور عبد الحليم محمود
الدكتور محمد غلاب
الدكتور محمد يوسف موسى
الدكتور محمد على أبو ريان
الدكتور عثمان أمين
الدكتور محمد جمال الدين الفندى
الدكتور أحمد عبد المنعم البهى

الدكتور ابراهيم مصطفى عبده
البكباشى عبد المنصف نور الدين
ابراهيم كـــواز
محمد محمود بحبح
كامـــل البوهى
عبد العزيز المصيلحى
محمد محمود علوان
محمود شلبى

طه عبد البـــاقى سرور

مع الابواب الثابتة :

الطريقـة • منبر المجـــلة • أخبـــار صوفية ..
ندوة المجلة • مناهج التصوف • خواطر المحرر

الثمن ٥ مـ

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠ ص
في الجمهورية العربية المتحدة
٥ ص
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد السادس – السبت ١٩ من ربيع الثاني عام ١٣٧٨ هـ أول نوفمبر ١٩٥٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لهذا أحببناه ..

واحترمناه وصممنا

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

تتساءل دوائر الاستعمار العالمية ، ويتساءل معها العبيد والمنافقون عن السر العجيب ؟ عن النبأ العظيم ؟ .. عن هذا الحب الاسطورى الهائل الذى تنطوى عليه قلوب العرب جميعا ، لجمال عبد الناصر ، ولأعمال جمال عبد الناصر ، ولكل شىء يتصل بجمال عبد الناصر ..

يتساءلون ، وقد وضعوا على أعينهم عصابة مغرضة ، وعلى قلوبهم غشاوة مضللة ، وفى آذانهم صمم مصطنع ، حتى لا ترى عيونهم ،

ولا تسمع آذانهم ، ولا تحس قلوبهم ، بالحقيقة السافرة الواضحة ، الأسباب التى جمعت بين جمال عبد الناصر ، وقلب كل عربى ، وأمل كل عربى ، ووجود كل عربى .

لقد أحب العرب جمال عبد الناصر ، لأنهم رأوا فيه العزة التى نشدوها ، والقوة التى التمسوها ، والوحدة التى طلبوها ، والصيحة التى ترقبوها ، لأنه جاء مطابقا لصور خيالهم ، وآمال أرواحهم ، وأحلام قلوبهم .

لقد رأوا وجهه فعرفوه وأحبوه وتعلقوا به ، لأنه عاش فى أعماقهم قرونا وأحقابا ، يتلمسونه ويطلبونه ويرجونه ، لبعثهم ومجدهم ، للتعبير عن أنفسهم ، للدلالة على وجودهم وعراقتهم وخلودهم ، كأمة صنعت التاريخ يوما ، وقادت الانسانية قرونا ، وحملت رسالة النور والهدى للعالمين .

لقد أحبوه ، لأنهم رأوا فى وجهه صفحات مجدهم القديم ، وسطور عزهم التليد العريق ، رأوا فيه قسمات عمر بن الخطاب ، وملامح خالد ابن الوليد ، وضربات صلاح الدين ووثباته وانتصاراته .

جاء اليهم كما يأتى الغيث ، وانبثق فى وجوههم كما ينبثق الفجر ، والتمع فى حياتهم كما يلتمع الشعاع ، فاذا بالحياة تدب فى الأرض الهامدة ، واذا بالأحلام تستيقظ من مضاجعها المظلمة ، واذا بالنور ينتشر فكل شىء لديهم صباح وسناء ، وكل شىء تلمس أيديهم أمل ورجاء .

أصبح جمال عبد الناصر فى قلب كل عربى ، مبدأ وفكرة ورسالة ، أصبح أنشودة النصر ، وصيحة البعث ، أصبح شيئا مكملا لوجودهم ، ناطقا بأحاسيسهم ، ولقد حدثنى مجاهد عمانى ، بأن نساء الخليج العربى كافة ، يحملن صورة جمال عبد الناصر فى أعناقهن ، ويحمل رجالهم صورته كتميمة على صدورهم ، وان كل شىء لديهم يهون ، الا أن تمتد يد أو عين الى الصورة الحبيبة بغير الاجلال والخشوع .

لقد انطلقت صورة جمال عبد الناصر فى أفق الأمة العربية ، كما ينطلق الشعاع ، أو كما ينتشر الشعار ، الذى يرمز الى العقيدة المقدسة التى تفتدى بالأموال والأرواح .

أصبحت الراية التى يلتف حولها الأحرار ، والخطر الذى يرهبه الاستعمار وعبيد الاستعمار .

ولهذا رصد الاستعمار كل قواه وبأسه وجبروته ، وخداعه وأساليبه وأمواله ، لحرب جمال عبد الناصر ، أو لحرب الفكرة التى يمثلها جمال عبد الناصر .

وعجز الاستعمار العالمى ، وعجزت الصهيونية العالمية ، عن أن يصدا الزحف الناصرى ، والبعث العربى ، وأن يقتلا الفكرة التى يمثلها عبد الناصر ، والتى يحميها ويحرسها ثمانون مليونا من العرب الأحرار .

يستطيع الاستعمار فى انطلاقات غضبه ، وثورة ألمه ، أن يشترى عبدا أو عبدين ، ومنافقا أو منافقين ، وقزما أو قزمين ، ممن يدعون الزعامة ، أو الوراثة ، أو الارستقراطية .

يستطيع بماله ووعوده ، وسابق سلطانه وبأسه ، أن يشترى عشرة رجال ، أو عشرات ، من الامعات النكرات ، وأن يضع فى أيديهم سلاحا للغدر والاغتيال ، والتدمير والتخريب .

ولكن هل تستطيع هذى الأيدى الملوثة ، والزعامات المزيفة ، هل يستطيع هؤلاء الخونة العبيد أن يقاوموا الموج الهائل الهادر ، والزحف الرهيب الثائر ، لثمانين مليونا من الأحرار الواثبين .

وماذا يقول هؤلاء العبيد ، وماذا تقول الزعامات الزائفة لشعوبها ، هل يقولون لها ، تعالى اسجدى واركعى تحت أقدام الالهة ، تحت أقدام الجبابرة العتاة ، الذين يستعبدونك ويستغلونك ويحتقرونك ويسلبونك أمجادك وحريتك .

هل تستطيع هذه النغمة الذليلة أن تجذب اليها رجلا واحدا حرا كريما ..

ان الاستعمار ينسى اننا أمة كريمة عريقة ، انه لا يزال ينظر الينا كما ينظر الى عبيده وممتلكاته ، انه ينادى باذلالنا واستعبادنا ، ويعمل على تمكين الصهيونية فى أرضنا وبلادنا ، ثم يطلب فى قحة فاجرة ، أن يحبه العرب ، وأن يتعلقوا به ، وأن يربطوا وجودهم بوجوده ، وأن ينحنوا على أقدامه ، خضوعا وخشوعا واجلالا .

وأحمق من الاستعمار وأشد نذالة وفجورا ، هؤلاء العبيد الذين لا يزالون ينظرون الى الغرب كما ينظرون الى الالهة ، مؤمنين بأنه القوة

التى لا تقاوم ، واليأس الذى لا يرد ، هؤلاء الذين يتلقون الصفعات والركلات ، ثم يقبلون الأيدى التى تصفعهم ، والأرجل التى تركلهم ، ويطلبون من أمتهم أن تسجد كما يسجدون ، فى مستنقعات الهوان والذل !!

لقد تساقط الخونة والمنافقون وعبيد الاستعمار ، خائنا وراء خائن ، ومنافقا أثر منافق ، وعبدا من خلف عبد ، وبقى جمال عبد الناصر لأنه روح هذه الأمة ، لأنه المبدأ والرسالة ، والعزة والكرامة لثمانين مليونا من الاباة .

فان جاء اليوم عبد جديد من رقيق الاستعمار ، ان جاء « البغيض » الى العرب ، ان جاء « حبيب » الفرنسيين ، و « حبيب » الاستعمار ليحاول أن يقف على قدميه الصغيرتين ، ويرفع رأسه الذليل ، وقامته الضئيلة ، ليطاول العملاق ، وليناهض الرسالة ، وليخاصم العروبة ، وليوقف الموج الهادر ، والزحف الثائر ، فانما هو الناموسة التى تنطح جبلا ، والحصاة التى تحاول أن توقف نهرا .

لقد اشترى الاستعمار عبدا جديدا ، وحرك منافقا قديما ، وسيشترى عبيدا ومنافقين ، وسيحاول حتى النفس الأخير أن يقاوم وأن يصمد .

ولكن الأقزام لا يطاولون العمالقة ، والحرية لا تحارب بالاستعباد ، والظلام لا يثبت للنور . « **أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم** » .

يازعيم العروبة الأكبر : سر على بركة الله ، وان يريدوا أن يخدعوك أو يعرقلوك ، فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم .

سر تحرسك عناية الله ، وتسدد خطاك ، وتحفظك وترعاك ، وتهديك صراطا مستقيما .

أيها الزعيم : لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد .

أيها الزعيم : اننا نحبك ، لأنك ترمز الى حريتنا وعزتنا ، ونحتقر خصومك ، لأنهم يدعوننا الى أن نضع أعناقنا وكرامتنا تحت أقدام الاستعمار .

لهذا أحببناك ... ولهذا احتقرنا خصومك .

« **محمد محمود علوان** »

صفحات ونفحات

من الحياة الروحية المحمدية

بقلم

الدكتور محمد مصطفى حلمى

أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

حديثنا فى المقال السابق عن بعض العناصر العملية التى كان يتألف منها القانون الخلقى للحياة الروحية المحمدية ، وهو ذلك القانون الذى يعد بحق مصدرا اسلاميا خالصا لكل ما جاء بعده من قوانين خلقية تعاقب على وضعها كل من صحب النبى عليه الصلاة والسلام من الصحابة وكل من أعقبهم من طبقات التابعين وأتباع التابعين ، وغير أولئك وهؤلاء ممن كان لهم شدة عناية بأمر الدين سواء من كان من الزهاد والعباد والنساك ، ومن كان من الصوفية الخلص ، أو الصوفية المفلسفين ، أو الصوفية الذين ينزعون فى تصوفهم منازع فلسفية ، أو الصوفية الذين نقرأ آثارهم المنظومة والمنثورة فنجدها منطوية على بعض المعانى الفلسفية ، وليس من شك فى أن اصطباغ بعض الآثار الصوفية بهذه الصبغة الفلسفية لم يفقدها طابعها الاسلامى الذى يرد أول ما ينبغى أن يرد الى مصدره فى الحياة الروحية المحمدية بما أخذ فيها صاحبها عليه الصلاة والسلام نفسه من تحنث قبل البعثة ، ومن تخلق بأسمى الأخلاق بعدها ، وبما يستتبعه هذا التخلق وذلك التحنث من صفاء القلب وجلاء البصيرة ، وما الى هذا الجلاء وذلك الصفاء من الخصائص النفسية الروحية التى اختص بها نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، والتى أحب أن أقف عندها فى هذا المقال .

وكما كانت الحياة الروحية المحمدية فى صورتها الخلقية العملية فياضة بضروب عدة من الرياضات والمجاهدات مشتملة على أسمى المبادىء وأدق القواعد التى ينبغى أن يقوم عليها السلوك الانسانى فى الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات ، والتى أقام عليها الزهاد والعباد والصوفية طرقهم فى رياضة النفس ، ومجاهدة الحس ، ومعاندة الشيطان ، ومقاومة الاثم والعدوان ، فهى قد انطوت فى صورتها النفسية على أصفى الأحوال اختص بها نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، والتى أحب أن أقف عندها هذا كله من المواجيد وما يحصل فيها من مكاشفات ومشاهدات ، ومن

تحقق بأدق المعارف ، وتذوق لأرق اللطائف ، حتى أن الصفحات التى أفاض فيها الصوفية فى وصف أحوالهم ومقاماتهم ليست فى حقيقتها الا صورا مكبرة لتلك الصفحة الأولى من صفحات الحياة الروحية المحمدية كما أن النفحات التى وردت على قلوب الصوفية فتمثلت أسرارا ، وتجلت أنوارا ، وصارت للعارفين الذائقين منارا ، لم يكن هذا كله الا نفحة من تلك النفحة التى تأرج عبيرها ، وانبثق نورها ، من قلب محمد عليه الصلاة والسلام لأول مرة فى تاريخ الحياة الروحية للاسلام .

ولكى ينبثق هذا كله فى وضوح وجلاء ، يحسن أن نقف عند بعض العناصر النفسية فى الحياة الروحية المحمدية وما عسى أن تدل عليه هذه العناصر من المعانى الروحية التى أخذها الصوفية بعد ذلك ، فأساغوها وأقاموا علمهم عليها ، وتوسع بعضهم فيها حتى أخرجها عن أصولها ، فكان ما كان من اسراف وانحراف . ولو قد وقف المسرفون والمنحرفون عند حدود المعانى التى رسمها نبى الاسلام ، لما كان هناك اسراف أو انحراف ولما تعرض التصوف لما تعرض له من نعى الناعين ، وطعن الطاعنين .

وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام ما كان يأخذ به النبى صلى الله عليه وسلم نفسه من عزلة واعتكاف ، ومن تهجد وقيام فى الليل ، ومن استغفار وذكر ، وما كان يعرض لنفسه فى هذا كله من أحوال قوامها التأمل والتفكر فى بديع صنع الله ، والاستغراق فى ذكر الله ، والانقطاع حينا لله ، والانصراف حينا آخر عن كل شىء الا عن الله ، والاقبال بكنه الهمة على كل ما من شأنه تصفية النفس ، وتنقية القلب ، بحيث أصبح صاحب هذا القلب النقى وتلك النفس الصافية ، أهلا لأن يرى بعين ظاهره وباطنه ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . لقد كان هذا كله سبيل محمد عليه الصلاة والسلام الى ما خصه الله به من مقام ، وما أشهده عليه من حقيقة ، فهو حبيب الله وصفيه ، وهو خليله ونجيه ، وهو بحكم هذا الاختصاص قد انجاب عن عين قلبه الحجاب ، وانفتح له من دون الحقائق العلوية والدقائق الالهية كل باب ، وهذا يعنى بعبارة أخرى ان ما يتحدث عنه الصوفية من كشف حجاب الحس ، والمشاهدة بالقلب ، والاسراء بالروح فيما وراء عالم الشهادة من عوالم الغيب والملكوت والجبروت ، قد وجد كل أولئك بذوره الأولى فى روضة ذلك القلب المحمدى التى نبتت فيها أشرف الثمرات ، وسرت منها ألطف النفحات ، وذلك على الوجه الذى تظهرنا عليه آيات القرآن الكريمة من ناحية ، وأخبار السيرة النبوية الشريفة من ناحية أخرى .

ولعل أول ما يدل على ذلك الطابع الروحى الذى طبعت به الحياة المحمدية فى أسمى وأنقى صورها الروحية الصافية ، هو الاسراء والمعراج

اللذان ورد ذكرهما فى القرآن الكريم ، وأفاضت فى وصفهما كتب السيرة العطرة : فقد روى أن النبى عليه الصلاة والسلام ، كان ليلة الاسراء فى بيت أم هانىء وهى هند ابنة عمة أبى طالب ، وقد روت أم هانىء حديث الاسراء فقالت : « ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى ، نائم عندى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : « ياأم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ... فقلت له : يانبى الله ، لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ، ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنهموه ... » . وروى ابن اسحق حديث المعراج فقال : « حدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : » لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه ، وهو الذى يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر ، فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى بى الى با ب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ... »

وليس من شك فى أن القرآن الكريم هو أصدق دليل على أن الاسراء والمعراج حقيقتان ثابتتان فى تاريخ الحياة الروحية المحمدية ، وأنهما قد انطويتا على معنى روحى له خطره فى النبوة المحمدية من ناحية ، وله أثره فى الحياة الروحية الاسلامية من ناحية أخرى . وحسبنا أن نتدبر قول الله عز وجل : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » (سورة الاسراء ، أية «١») ، وأن نروى بصفة خاصة فى قوله تعالى : « **لنريه من آياتنا** » ، لنتبين ان الاسراء انما كان وسيلة من الوسائل الالهية التى اصطنعها الله عز وجل مع نبيه صلى الله عليه وسلم لكى يحقق له بها غاية عليا ، وهى أن يظهره على آيات ربه الكبرى التى تدل على وحدانية الله وقدرته وعظمته ، وعلى غير ذلك من الحقائق الغيبية العليا ، وذلك مما أشهده الله عليه ، وملأ قلبه به ، عند رؤيته السموات ومشاهدته ما فيها من الآيات .

على أن الاسراء والمعراج ، وان كانت حقيقتهما ثابتة يقينية ، الا أن آراء المفسرين والباحثين قد اختلفت حول الكيفية التى كان حصولهما بها : هل كانا بالروح ، أو بالجسد ، والذين يذهبون الى أن الاسراء كان بالجسد يستدلون بما شاهده النبى صلى الله عليه وسلم أثناء مسراه ، من الأشياء الحسية ، على حين يستدل أصحاب الرأى القائل بأن الاسراء والمعراج كانا بالروح ، بما روى عن عائشة رضى الله عنها من أنها قالت : «ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه » أو أنها

قالت : « والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن عرج بروحه » . ومهما يكن من أمر هذا الخلاف ، فان الذى يعنينا هنا هو الرأى القائل بأن الاسراء والمعراج كانا جميعا بالروح لا بالجسد فهذا الرأى ان صح ، وصحت معه رواية عائشة التى يستند اليها أصحابه ، كان ذلك دليلا على مبلغ ما انتهى اليه محمد صلى الله وسلم من جلاء القلب، وصفاء الروح ، ونقاء السر ، ومن الكمال الروحى الذى هيأه به الله عز وجل لأن يصبح قادرا على التنقل بروحه فى ملكوت السموات والأرض ، والاحاطة بكل ما خلق الله من شىء ، والتحقق بمشاهدة الحقائق العليا مشاهدة عينية يقينية اتسع لها ذلك القلب المحمدى الكبير الذى زال عن عينه الغين ، وانكشف من دونه حجاب البين . وهذا الذى وقع لنبى الاسلام على هذا الوجه الروحى من شأنه أن يعيننا على فهم وتفسير ما

يتحدث عنه صوفية الاسلام من مشاهدات ومكاشفات وفتوحات ، وما يصفون من أحوالهم فى الترقى عن العالم السفلى الى العالم العلوى ، ومن فوز بالاتصال بالحقيقة العلية ، والقرب من الذات الالهية ، ومن انتهاء الى الفناء فناء ارادیا عن شهود ما سوى الله ، متخذين فى هذا كله من الروح والقلب والسر ما يجرى مجراها من الملكات الباطنية ، أدوات صادقة صالحة ، لأن توصلهم الى أسمى مراتب العرفان حيث تتطلع قلوبهم على أمتع الصفحات ، وتتعرض أرواحهم لأروع النفحات .

على أن فى الحياة الروحية المحمدية أحوالا نفسية وروحية أخرى يدل عليها غير الاسراء والمعراج مما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آية من آيات كمال نبوته ، وجمال روحانيته . ويكفى أن أذكر من تلك الأحوال النفسية الروحية حالا من الأحوال التى ظهر فيها جبريل ، فاذا النبى يراه على أنه جبريل ، على حين رآه غير النبى على أنه شخص آخر يعرف باسم دحية : فقد روى فى السيرة النبوية الشريفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أصحابه كانوا فى موضع يعرف بالصورين ، وذلك قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال : « هل مر بكم أحد ؟ » قالوا : يارسول الله ، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى ، على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك جبريل بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم ... » . وقد أشار القرآن الكريم الى تلبث جبريل بصورة رجل ، وذلك فى قوله تعالى : « **وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** » - (سورة الأنعام ، آية ٨ - ٩) . ولعلنا لو أردنا أن نكشف عن المعانى التى تنطوى عليها هاتان الآيتان من ناحية والتى تدل عليها رواية ظهور جبريل فى صورة دحية ورؤية النبى له على حقيقته من حيث هو ملك من ناحية أخرى ، لما وجدنا تعبيرا أصدق ،

ولا تفسيرا أبين ، مما ضمنه الشاعر الصوفى العظيم عمر بن الفارض ، أبياته الرائعة من تائيته الكبرى التى يقول فيها :

وها دحيـة وافى الأمين نبينـا ... بصورته فى بدء وحى النبـوءة
أجبريل قل لى كان دحية اذ بدا ... لهـدى الهـدى فى هيئة بشرية
وفى علمـه عن حاضريه مزية ... بما هيـة المـرئى من غير مرية
يرى ملـكا يوحى اليـه وغيره ... يرى رجـلا يدعى لديه بصحبة
ولى من أتم الرؤيتين آشـارة ... تنزه عن رأى الحلول عقيـدتى
وفى الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ... ولم أعد عن حكمى كتاب وسـنة

فهاهنا رؤيتان : رؤية الذين رأوا جبريل على أنه دحية ، ورؤية النبى له على حقيقته الملكية ، وليس من شك فى أن أتم الرؤيتين وأصـدقهما وأدلهما على الحقيقة المرئية هى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس من شك أيضا فى أن رؤية النبى على هذا الوجه ، لم تكن رؤية عادية من قبيل الرؤية الحسية التى تتاح لعامة الناس عن طريق حاسة البصر فتمكن لهم رؤية الشىء أو الشخص على ما يظهر لهم ويتجلى لحسـهم الظاهر ، وانما هى رؤية من نوع آخر ، وعن طريق قوة أخرى غير الحس الظاهر ، وهى قوة الروح الصافية النقية ، أو هى قوة ما يعرف عند الفلاسفة باسم النفس القدسية ، وهذه لا تتهيأ لكافة الناس ، ولكن الله يختص بها من يشاء ، وقد اختص بها نبيه وصفيه ، فكانت آية من آيات حياته الروحية ، وخاصة من خصائص نبوته المحمدية . ذلك بأن علمه عليه الصلاة والسلام لم يكن علما انسانيا ، ولكنه كان عرفانا لدنيا ، ورؤيته لم تكن رؤية لظواهر الأشياء ، ولكنها كانت مشاهدة لحقائقها ، وقلبه الذى شاهد به هذه الحقائق لم يلقن معارفه ولا تلقاها على يد معلم من البشر ، وانما هو كما قال تعالى فى كتابه العزيز : « **ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين و أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى** » - (سورة النجم ، آية ٤ - ١١) .

محمد مصطفى حلمى

* * *

الدين هو العلاج للأدواء البشرية

الدين والتـــدين

للدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

موضوع هذه الكلمة هو بيان الفارق الكبير الاثر بين مجرد الاعتقاد بالدين ، وبين التدين والعمل به حقا فى أنفسنا وفى أعمالنا وفى معاملاتنا أفرادا وجماعات . وذلك لأنه من الحق أن نقرر أنه لا يكفى ، لنخلص مما نحن فيه ولنكون سعداء فى حياتنا ، أن يكون لنا دين حق ، بل الواجب أن نعيش طبقا لأسسه ونظمه وتعاليمه وأخلاقه وشريعته فى مختلف أمورنا

ان الدين هو نظام الهى وضعه الله لعباده ، يؤدى بهم الى النجاح والخير فى الدنيا وفى الاخرى ، فهو يفرض العبادات المختلفـــة التى بها صلاح الجسم وتقوية الروح وتزكية النفس والقلب ، ويرسم القواعد والاصول التى تحكم الناس فى علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض .

أما التدين فهو أمر آخر وراء هذا وأعلى منه ، وهو السبيل الحق لسعادة الافراد والجماعات ، وهو الطريقة الفعالة والخطة المثلى لعزة الامة ومجدها، انه الاخذ بالدين والعمل به ، والنزول على أحكامه فيما يأتى المرء ويذر من الاقوال والاعمال .

فالفرق بين الدين والتدين اذا فرق كبير ، وهو الفرق بين العلم بأى ضرب من ضروب المعرفة وبين العمل بهذه المعرفة ، وكثير منا يعلمون ولا يعملون بما يعلمون ، فيكون علمهم لا جدوى منه ولا يؤدى الى خير فى الحياة العملية . والمثل لذلك كثيرة نلمسها هنا وهناك من أنفسنا ومن غيرنا ، فانه ما أكثر العالمين فينا وما أقل العاملين ، ومن هذا كان كل ما نشعر به من سوء !

ان منا من يعرف علم النحو وقواعده دقيقها وجليلها ، ولكنه لا يعرف أو لا يعمل على أن يقيم لسانه اذا تحدث ، ومن يعرف المنطق قديمه وحديثه، وكيف يكون التفكير السليم ، وكيف يتركب الدليل من مقدمات صادقة يكون عنها نتائجها الصحيحة الصادقة ، ولكنه لا يعمل على أن يكون منطقيا فى تفكيره وصحيحا فى استدلاله .

ومنا من درس الفقه حتى صار حاذقا فيه ، وأحاط بالحلال والحرام فى الاسلام ، ومع هذا لا يعمل على أن يكون فى علاقته بالله تعالى وفى معاملاته مع غيره متفقا مع ما عرف من شريعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنا من يعرف الأخلاق وأصولها والفضائل وجمالها وخير العمل بها ، والرذائل وقبحها وسوء عقباها ، فهو إذا وعظ كان واعظا لبقا ، وكان لموعظته أثر يهز القلوب ويجعل العيون تدمع ، ولكن قلبه خواء من ذلك كله ، اذ لا يعمل بما يعلم ، ولا يجعل نفسه حقا على خلق حميد وبعيدا عن الغوى والشرور والآثام .. وهكذا ، الى آخر هذه المثل التى يزخر بها واقع الحياة الفردية والاجتماعية .

★ ★ ★

ولا بأس فى أن أشير هنا الى حديث دار بينى وبين أحد اخوانى المصريين من طلاب العلم بباريس عام ١٩٤٧ على ما أذكر ، وهو شاب مؤمن حقا بدينه وأمته وجنسه . جاء الى هذا الصديق ذات مساء والليل هادىء ساكن ، وقد أوى القوم الى مضاجعهم الا طالب علم أو حليف له .

يدخل غرفتى فأفرح للقائه كعادتى ، ظنا منى أنه أتى ليشركنى فيما أنا فيه من متعة علمية وروحية بعد أن أجهده من العمل ما أجهدنى . بيد أنى لا ألبث أن أتبين أنه جاء لغير ما قدرت ، جاء لينقلنى من هذا الجو الذى كنت أحسه حينئذ ، جاء ليحدثنى حديثا ان يكن جدا وحزما فان له لوعة وألما ، وكان الحديث على هذا النحو الشجى الصادق النابع من القلب المؤمن .

انه ما ان جلس حتى أخذ يلقى على هذه الاسئلة : هل نحن حقا خير أمة أخرجت للناس ، وهل ما نحن عليه من دين هو خير الاديان كما نعتقد ؟ واذا كان الاسلام هو الدين الحق الذى رضيه الله لنا وللبشرية كلها ، وكانت الامة الاسلامية هى خير الامم ، فلم ظللنا قرونا طويلة دون الغربيين قوة وعلما ، بل مستعبدين لهم ، حتى ظن الاجانب بنا وبديننا الظنون ، مع أن الله يقول فى محكم كتابه العظيم « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين ؟** »

هذه الاسئلة ونحوها أخذت تتوالى من صديقى دون أن أستطيع أو أحاول وقفها ، بل لزمت السكوت حتى ينتهى من ثورته ، وحتى يهدأ بالتنفيس عما يعتلج فى صدره من خواطر وآراء . وبعد هذا جلس فى هدوء يستمع الى ما عساى أقول ، وهو يرجو أن تعود السكينة الى روحه الطيبة ، وأن يزيد اطمئنانه الى ما اختاره الله لنا من الدين الحق ، والى وعده بنصر عباده المؤمنين .

نعم يا أخى فى الدين والعلم والوطن ، هكذا بدأت حديثى اليه ، نحن حقا خير أمة أخرجت للناس ، وستظل أمتنا كذلك دائما ما دمنا نؤمن بالله وشريعته كما جاء فى القرآن وكما آمن به أسلافنا الامجاد السابقون ،

وما دمنا نأخذ أنفسنا بالاسلام وما أمر به ونهى عنه ، وما دمنا نعرف الحق ونعمل بما نعرف سواء رضى الناس أو سخطوا ، فان العمل بالدين هو لب الايمان وأساسه ، ولا قوام له الا به .

ومن ثم نعرف يا أخى أنه لا تناقض بين عقيدة أن الاسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله لنا ، وبين ما نحن عليه من هوان على أنفسنا وعلى غيرنا لم يرضه الله لنا ، بل نحن الذين رضيناه لانفسنا . واليك أمرا واحدا فيه مقنع لنا الآن ، وفيه تفصيل بعض ما أشرت اليه .

روى ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » . فهذا حديث يجمع المسلمون على صحته ، ونخضع له جميعا ، ولكنه خضوع علم ومعرفة ، لا خضوع تدين به وتطبيق صحيح له .

أريد أن أقول بأننا نعرف الدين ، أركانه ومبادئه وتعاليمه ، معرفة نعتقد أنها تصل الى اليقين، ولكننا فى مختلف الحياة نسير على غير ما نعرف ونعتقد الا من عصم الله ، ونرى مع هذا أننا مسلمون . أى أن معرفتنا بالاسلام ليست فى الكثير منا الا معرفة باللسان ، لا معرفة تنتهى بالعمل والتدين ، وهذا فيما نرى ليس الايمان الصحيح ولا الاسلام الحق .

ان من الحق أنه يجب أن ندرك سبب قرن القرآن الايمان والاسلام بالعمل دائما ، وأن نلحظ المعنى الحكيم الذى ينطوى عليه قول المربى الحكيم الأول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « **الناس هلكى الا العالمون ، والعالمون هلكى الا العاملون ، والعاملون هلكى الا المخلصون ، والمخلصون على خطر** » أى خطر الانحراف ولو قليلا عن الجادة المستقيمة ، والله ورسوله أعلم .

وبعد هذا ، اننا نعرف تماما أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما يقرر الرسول الامين الذى لا ينطق عن الهوى ، وذلك مبدأ نؤمن به جميعا ونعتقد أنه لا يقوم مجتمع سليم الا به ، ومع هذا فان كثيرا من اخواننا فى الدين يرون أنهم مؤمنون حقا بهذا المبدأ ، وأن اسلامهم لا ترقى اليه الظنون لقيامهم بشعائره من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وربما نرى معهم أيضا أننا مسلمون حقا لمجرد قيامنا بشعائر الاسلام .

لكن الواحد منا أو من أولئك قد لا يخطر بباله أنه ينال من ايمانه حين يغض الطرف عن آثم فى حق دينه أو وطنه ، أو حين يتعامل بالربا فى

غير ضرورة ملجئة ، غافلا هذا المسلم عن أنه بعمله هذا قد عصى الله ورسوله، وانه قد أثم اثما كبيرا ان كان فعل ما فعل عن غفله ، والا - ان كان فعله مستحلا له - فقد مرق من الدين باستحلاله حراما بنص القرآن .

وهنا بدأ صديقى تنفرج أسارير وجهه وتزول جدة ثورته النفسية ، كما أخذت رغبته فى الحديث تزيد وتزيد ، فقلت له : على أن الأمر لا يقف عندهذا الحد، من تعامل بالربا فى غير ضرورة لا مناص منها ، أو غير هذا وذاك مما يصح ضربه مثلا على أننا نعتقد بصحة ديننا دون أن نتدين به حقا فى كل أمورنا ، ولكن للامروجوها أخرى كلها خطر كبير .

ان أوربا وان يكن لها فى هذا العصر أسرها وفتنتها ، وبما هى عليه من قوة بما وصلت اليه من علوم وصناعات،لا ينبغى أن يخدعنا هذا عن سمو ما نعتز به من دين وتراث مجيد وقوى روحية لا يسعد العالم الا بها ، وعما كان لنا من حضارة وعلوم وصناعات أفاد منها الغرب وبنى عليها نهضته .

ولكن قوما من المسلمين فتنتهم أوربا فى تلك النواحى من الحياة ،فظنوا أن الغرب له العلو فى كل شىء حتى فى باب الشرائع والقوانين ، ولذلك راحوا ينقلون الينا من هذه القوانين التى لا تتفق وديننا وتقاليدنا ،وذلك مع غنى الاسلام فى هذه الناحية غنى يعرفه العلماء من الغرب والشرق .

ثم يا أخى ! هناك مثل أخرى ، لا نستطيع أن نعدها ولكن نعد منها ، تقع ونحن شهود ، ونعرف منها كيف ابتعد أكثرنا - نحن المسلمين - عن الاسلام والتدين به . وهكذا صرنا الى حال يكاد يصدق فيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها** » فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : « **بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن** » . **فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت »** .

وهنا قال صاحبى : على رسلك ! فكفانى الليلة ما سمعت ، وقام وهو يقول : « **ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا** » .

* * *

وبعد .. اننا لا نغالى اذن حين نرى أن الايمان بالاسلام لا يوجد فى الكثير منا الا صورة ورسوما وربما شعائر أيضا ، ولكن حقيقته بعيدة

شيخ الازهر الجديد

استقبل العالم الاسلامى نبأ تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخا للجامع الأزهر بالغبطة والبهجة والأمل القوى ، فى أن ينهض الأزهر فى عهد فضيلته برسالته الكبرى ، كقائد وموجه للفكرة الاسلامية .

و « مجلة الاسلام والتصوف » تهنىء فضيلته ، وهى تقدر له فضله وعلمه وأفقه الواسع ، ونشاطه المتوثب ، وماضيه المشرق فى الدعوة الرشيدة الى الاصلاح الدينى . والايمان برسالة الأزهر الخالدة .

عنهم ، وفرق ضخم بين الحقيقة وبين الصورة مهما تكن متقنة الصنع ! فان من حقيقة الدين أن المؤمن اذا قال : « **لا اله الا الله** » أن يعتقد أنه لا رب غيره ، وأنه وحده الضار النافع ، وأن بيده ملكوت كل شىء ، واذن فليس له أن يخاف الاعداء المستعمرين لأى رقعة من وطنه الاسلامى العربى .

ومتى كان كذلك ، كان حريا بأن يخلص له العبادة ، وبأن ينزل على أحكام الدين فى كل حالاته ، ولا يخاف الموت فى سبيله ، وبذلك ينتصر فى كل ما يريد أو يموت شهيدا ، وبمثل هؤلاء المؤمنين المتدينين حقا بما يؤمنون به يتقدم العالم ، وتحيا الامة حياة قوية عزيزة كريمة على نفسها وعلى غيرها من الامم الاخرى .

وحسبنا شاهدا على هذا ما صرنا اليه من عزة ومجد هذه الايام ، وان العالم صار يترقب ما تقول الامة العربية وما تفعل ، فهو ينصت لها حين تتكلم ، ويحسب لها حساب أى حساب ، والله لا يضيع أجر العاملين .

محمد يوسف موسى

الروح والنفس

للكاتب العراقي الأستاذ ابراهيم سليمان الكواز

- ٢ -

بالامكان رعاية العلم الروحي والحدب عليه من قبل أفراد الشعب ورجال الصحافة اذ لهم القدح المعلى في اعلاء مناره . ولا غرابة في ذلك فقد ناضل فندلاي في انجلترا ، وهي على ما عليه من رقي وتمدن ومال تمطره مستعمراتها ، حتى تمكن من ادخاله في جامعاتها وأصبح يدرس كبقية العلوم الاخرى . والشرق له الفضل الاكبر في تقرير هذا العلم وهو مهد الديانات الروحية جمعاء ولقد فاق العرب رجال الغرب قبل أربعة عشر قرنا ، أي منذ أهل الكتاب الذين تطرقوا للعلم الروحي واستخدموه في علاج كثير من المرضى ، وما ارجاع البصر الى يعقوب بعد أن ابيض من الحزن على يوسف الا نوعا من هذا العلاج المنتشر في بلاد الانجليز .

ان « الاسرة » عند تطرقها للاديان ما كان تطرقها ليكون كما فعل رجال الدين أبدا ، فهم لهم طريق وللاسرة مذهبها في الطريق الذي تنتحيه .. وهي لتفخر بانضمام رجال الدين من مختلف الاديان والمذاهب اليها لا بقصد التزمت في الدين ولا بقصد جر المغانم ، فليس لاعضائها مطامع مادية ، ومن وجد منهم له هذا المأرب فليس بمستبعد أن ينسحب من رابطتها أي وقت يشاء ، فهي تعترف بخلود الروح وبذهاب المادة وما المادة الا عرض زائل لا تعيره الاسرة الا لما يمهد لها أسباب الظهور واعلاء صوتها ليس الا . وهي مع ذلك تشعر كل الشعور بأنها لن تكون بمنأى عما جاء به الدين الصحيح ، والا لو كان ذلك محصورا برجاله ، وبرجاله فقط لما كان عليهم من لوم ولا تقريع لحساب يقرون به وبموعد لذلك الحساب .

والاسرة بعد أن اطمأنت لخلود النفس ، تحقق لها جميع ما أوعدت به النفوس من جزاء وعقاب وحشر ، وتحقق لها بطلان تناسخ الارواح بصورة علمية أثبتته حجرة تحضير الارواح . وهي لا تريد اظهار تلك الظواهر وما تحقق لديها من اتصال برجال العالم الاثيري الخالد ، وما تلقته من أجوبة توضيحية بينت بطلان الاعتقادات الشائعة ، فلا تريد

اظهارها مرة واحدة ، بل تريد بادىء الامر اقرار هذا العلم وانضمام الكثيرين اليه لئلا يتخذ كوسيلة للترفيه على الذين يبرزون بعض ظواهره بعناوين طنانة ، ففى ذلك ضرر كبير يصرف القراء عن مشاغل البلد المهمة . لذلك تظهر لبعض أعضاءها مقالات فى الصحف لتثبيت رأى أو بيان خطله . فالكل أعضاء سواء منهم من تعارف أو لم تسنح له فرصة التعارف الا على وجه الصحف .

لاعضاء الاسرة آراء فى الروح والنفس ، وأكثرهم يقرر أن الانسان يكون من روح وجسد ، وقليل منهم من يسير وراء أقوال الغرب فيقر العقل جزءا ثالثا وقد سماه فندلاى النفس ، فزعم انه ينتقل الى الروح بعد الموت . ولو أمعنا النظر فى قول شيخنا ابن العربى منذ أكثر من سبعمائة سنة نجده لا يحصر القول بأن الانسان فقط مكون من روح وجسد ، بل يشمل جميع المكونات كالخبز والمشارب والمطاعم والملابس والمواكب والثمر والزهر .. وقد أيد بذلك الامام أبا حامد الغزالى الذى جعل الناس مكونين من نفس واحدة وقد عم جميعهم الجسد ، وهذا لعمرى هو الصحيح وما اختلف المختلفون الا لجهلهم الفرق بين الروح والنفس ، وقد ألمعنا فى كلمتنا « الاثير » المنشورة بجريدة المثال الموصلية بعددها ٦٨ والصادر بتاريخ ١٩٥٢/١١/٧ الى فعل الاثير بأنه أمواج من الطاقة مالىء الفضاءات فى المواد الفيزيقية وتكوينه داخلها مثيلا لها من تماسك أمواجه التى بعد تمركزها لن تستطيع انفلاتا أو تبعثرا ، وهذه تسمى بالروح وبذلك يمكننا القول أن الروح ما هى الا ذرات وأمواج المادة الاثيرية المتكلسة - المتجسدة - حسب قول الامريكيين - داخل الفيزيقيات والتى تخلد وان فنت تلك المواد الى أولياتها . وما معنى قوله تعالى : « **والسماء ذات الحبك** » الا توضيحا بكون الفضاء ملىء بالحبك الذى هو أشبه بتموجات الرمال على شواطىء الانهار ويريد به الاثير المتحرك بلا سكون .

ولنمعن الليلة النظر فى شاشة التليفزيون قبل تشغيل المحطة بساعة فنجد ظهور معكوس تلك الامواج على الشاشة ، آنا تظهر بخطوط عريضة وأحيانا بخطوط رفيعة ، وأحايين أخرى تظهر ناعمة مدببة متجمعة تشبه بيوت النحل وهى أشبه بصورة الاستاذ فندلاى فى كتابه « على حافة العالم الاثيرى » فما نشاهده ليس الا الاثير ، أى ظله لأن الاثيرلايرى بالعيون ولم ينتبه له أحد قبلنا .

هذا الاثير هو الذى يخترق المواد الفيزيقية ، وهو بطبعه يملأ كل المواد المرئية والملموسة وغيرها كالجن ، فالتراب وأملاح الارض يخترقها الاثير فيجعل منها جسدا حوله كروح ، وكذلك النباتات والحيوانات وكذلك الانسان ، ولذلك أثبت العلم الروحى عمليا بطلان نظرية اليهودى داروين

فى ارتقاء الانسان من القردة . كما تبين أن الروح فى كل هذه تكون جاهلة غير متعلمة ومحددة الفهم تألف الانطلاق والتحرر وتكره القيد والاسر وهو ما عبرت عنه الآية : « **ان النفس لأمارة بالسوء** » وما الحياة التى فيها الا غريزية واقفة عند حد لا تستطيع التطور عنه مطلقا ، ما خلا الانسان فعند ولادته تكون روحه فاقدة لحاسة البصروحاسة السمع وللفؤاد .. حتى اذا مر على ولادته عشر أيام وأكثر بدأ يرى ، وبدأ يسمع ، وهذا معنى قوله تعالى فى سورة النحل : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** » حالة ان المولود له أذن وعين وقلب ، وهذه فى الجسد تقابل ما عند النفس وهى ما أسمته الآية : السمع والبصر والفؤاد ، فاذا ملكت الروح هذه الاعضاء تفوقت على المخلوقات الاخرى وأخذت تترقى عقليا فتصبح نفسا بعد أن تفهم ما يحيطها من عالم مادى تراه وتسمعه وتفهمه فتستفاد الفوائد الجمة وتينع معرفتها ويزداد فهمها ، فاذا اكتسبت الروح بعض العلم وتثقفت أصبح من المحتم أن يطلق عليها لفظ النفس لا الروح ، وهذا هو الفرق الاساسى بين الروح والنفس . فالنفس عالمة بفضل سكناها هذا الوسط المادى وارتداءها هذا الثوب الفيزيقى وتقييدها به كطائر يستطيع الطيران لولا الجسد المحيط بها والذى يكون بمثابة الغطاء للنفس الميالة بطبعها الى التحرر والانطلاق والاندفاع كما كانت وقتما كانت بعض أمواج الاثير ، فاذا مازال هذا الغطاء وانكشف تأتى لبصر النفس أن يشاهدويرى المخلوقات الاثيرية ، أى الامور حيث صار البصر حادا . وفى ذلك يقول تعالى : « **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** » . ومنه اتضح عدم أهمية الجسد المادى بعد أن أدى رسالته فى صنع الروح ، فهو لها بمثابة قالب الخشب لصنع دعامة الاسمنت ، فان تجمد الاسمنت ويبس قلع البناء قالب الخشب وكسره وألقاه للنار وكذلك حال النفس بعد انطلاقها وتحررها من الجسد الذى سيعود للتراب ليندمج مع أملاحه كما قال شيخنا الغزالى ..

فاهدموا قبرى ورضوا قفصى ... ودعوا الظلم يعلوه الفنا

فانطلاق النفس وانفصالها من الجسد هو الذى يسمى موتا ، وهو ليس بالحقيقة الا بدء حياة خالدة للنفس الاثيرية الخالدة فى برزخ موقوت تعقبه أبدا أو النار أبدا .. وهذا ما يدحض أقوال فندلاى من أن الروح هى التى تكون الجسد ، فلو صح ما زعم لكان الجسد أشبه بموجات مستطيلة متحركة ذا ذبذبات ، أما كيف يتمكن الجسد من تحديد الروح فهو ما سنعرض له فى مقال آخر ونوضح مبهمه ايضاحا كافيا . فالنفس المتحررة ليست راقدة فى قبرها كالجسد بل تجوب عالمها الاثيرى الخالد

مع أندادها عكس التى زرعت الشوك هنا فانها تظل قعيدة الثرى ويكتنفها الظلام الابدى كما قال السيد المسيح ولله در شيخنا الغزالى اذ يقول :

لا تظنوا الموت موتا انه ... لحياة ، وهو غايات المنى

وهو نفس ما عنته الآية : « **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد** » سورة النبأ ، فهو يثبت الحياة الخالدة للنفس وان حدثت الوفاة بتقطيع الجسد قطعة قطعة اذ أن النفس لا تلحقها العوامل المادية ، فمن قطعت يده أو رجله أو أى عضو من أعضائه فان ذلك لا يلحق النفس .. ولا يفوتنى أن أذكر شيوع لفظ الروح خطأ فى كلامنا بينما المقصود هو النفس ، فذلك الشيوع الخاطىء يستوجب التنبه اليه ولحكمة كان الكثير من الآيات الواردة بالقرآن الكريم تأتى بلفظ النفس ولا تذكر لفظ الروح الا لمعان أخر « **تنزل الملائكة والروح** » أى تتنزل الملائكة بقيادة جبريل كما نقول نحن رجع الجيش والقائد ، وقوله : « **فنفخنا فيه من روحنا** » أى من جبريلنا « **فأرسلنا اليها روحنا** » .. أى جبريلنا ..

ابراهيم الكواز

بغداد

فقيد العروبة والاسلام

استأثرت رحمة الله بالعالم الجليل رجل البر والتقوى الحاج محمود على احمد بعد حياة عامرة بالايمان والخير والبر بالناس جميعا .

وأسرة تحرير مجلة « الاسلام والتصوف » تتقدم لنجله العالم الكبير الدكتور عبد الحليم محمود بأصدق آيات العزاء راجية للفقيد الكريم جنات عالية عند مليك مقتدر . ولأسرته الصبر وحسن الجزاء ..

رابعة العدوية

للأستاذ طه عبد الباقى سرور
عرض ونقد
للدكتور عبد الحليم محمود
٠٠ أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

لم تؤلف رابعة العدوية الكتب ، أو تحبر المقالات ، فيترجم لها كمؤلفة ، فى سهولة ويسر !

ولم تحدث ثورة سياسية ، تنعكس صداها على صفحات الكتب أوالجرائد التى تمدنا بسيل من المعلومات والوثائق فتكتب عنها دون عناء

ولم تعن هى بالتأريخ لنفسها ، فتغنينا عن الظن والتخيل لذلك لا نجد عن آرائها ، وعن حياتها ، الا عبارات منثورة هنا وهناك ، فى قلة وتفرق ، يبعثان الضيق الشديد فى نفس المؤرخ أو الباحث ٠

ورغم قلة هذه الاخبار ، فان الكثير منها متضارب متناقض ، ولا أدل على ذلك من أن بعض الروايات تصف رابعة : بأنها عاشت عذراء بتولا ، بينما تجعلها الروايات الأخرى تزوجت وعاشت فى ظلال الرباط المقدس ٠

وهذه الأخبار على تضاربها وقلتها ، لا تجدها مجتمعة فى كتاب أو كتابين أو عشرة كتب ، وانما أنت مضطر للبحث فى صبر واناة ، بين مئات الصفحات ، وفى كتب غير مألوفة عادة ، حتى تعثر — بين الفينة والفينة — على خبر قصير أو جملة عابرة ٠

وكتبنا ، للأسف الشديد خالية — كما هو معروف — من الفهارس التى تسهل على القارىء العثور على مايريد فى زمن قريب ٠

من أجل كل ذلك تناولت كتاب « رابعة العدوية » للأستاذ طه عبد الباقى ، فى اشفاق ٠ فهل سيتأتى للمؤلف تكوين صورة واضحة المعالم عن رابعة ؟ ذلك — والحق أقول — ما شككت فيه ٠٠

وبدأت أقرأ ٠٠ وراعنى — أول ما راعنى — هذا الأسلوب الاخاذ الذى كأنه لحن موسيقى جميل ، يملك على النفس أقطارها ، ويضطر الانسان اضطرارا الى الاعتراف بما اعترف به السابقون : ان من البيان لسحرا ٠٠

واذا كان قد راعنى الأسلوب ، واذا كنت قد حمدت الله على أنى سوف لا ألقى فى قراءة الكتاب عناء ناتجا عن تعقيد فى اللفظ أو فى المعنى ، فانى مع ذلك لم أرد أن يغشى سحر الاستاذ طه على عينى ٠ فيجعلنى أنظر الى

الكتاب من هذه الزاوية ، وأقدره بحسبها دون التفات الى المعنى والى جوهر الموضوع !!

وبدأ المؤلف بعد صفحات رائعة عن الحياة الروحية فى الاسلام .. يتحدث عن مولد رابعة ونشأتها فيجعلنا نكاد نرى رأى العين ، ذلك الكوخ المتواضع القائم بأطراف البصرة ، وبداخله الأب الزاهد يصلى ويتهجد ، والام المسكينة على وشك الوضع ، وليس فى الكوخ شىء مما يصنع للمواليد عند الولادة ! .. لم يكن ثمة - كما يقول فريد الدين - مصباح للنور - ولا نقطة سمن للخلاص ، ولا قطعة قماش يلف بها المولود .

وكان للأب ثلاث بنات ، فسميت المولودة الجديدة « رابعة » لأنها رابعتهن . ويأخذ الاستاذ طه فى تحقيق نسبتها ، وفى بحث الروايات المتضاربة فى شأنها وينتهى - بعد تمحيص بارع للروايات ، ومهارة فى النقد والتحقيق - بقوله .. فكل رواية تاريخية فيها ذكر للحسن البصرى ورابعة .. فهى رواية لا يقرها التاريخ ، ولا يرض عنها الحق ، وكل رواية ذكرت فيها رابعة زوج أحمد بن أبى الحوارى ، أو رابعة وذو النون المصرى .. فهى رابعة الشامية ، وبذلك تتسق الروايات التى تحدثت عن زواج رابعة ، والاخرى التى ذكرت أنها عاشت عذراء بتولا - فالتى تزوجت هى رابعة بنت اسماعيل ، والبتول العذراء .. هى رابعة العدوية البصرية ..

لقد استنار الطريق الآن ، ووضع الامر فى شأن الروايات المتضاربة - وها نحن أولاء نرى رابعة تنشأ وتترعرع فى كنف والد صالح ، وأم طيبة طاهرة .. ، ونرى فيها منذ طفولتها استعدادا فطريا للصلاح والتقوى .. فلم يكن مفر من أن تسير فيما رسمه لها القدر بالوراثة والاستعداد ، والقدوة الصالحة ، والبيئة المنزلية الطاهرة !

ولكن الأقدار وان كانت قد رسمت لها حياة الطهر ، فانها لم ترسمها لها معبدة .. فها هو ذا والدها يموت ، وهاهى تلك والدتها تلحق به ، ثم ها هى ذى المجاعة القاسية تحل بالبصرة فتفرق بين رابعة الصغرى وبين أخواتها الكبارات اللائى ذهبن للبحث عما يحفظ الرمق وتؤخذ رابعة قسرا ، وهى فى عمر الزهور فتباع بيع الرقيق الى من لا يرحمها .. ولكنها فى كل ذلك لم تبتئس ، ولم تتضجر ، وانما تتجه الى الله ترجو رضاه .. ؟

اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

ويشاء الله أن يشعر سيدها بقيمتها الروحانية السامية ، وبمنزلتها بين الأبرار والمقربين ، فيمنحها الحرية .. !

ها هى تلك فجأة قد تخلصت من أسر العبودية ومشاغلها ، وقد تحقق لها ما كانت ترجوه من الله ، اذ كانت تدعو قائلة : « اللهم انى أعوذ بك من كل ما يشغلنى عنك ، ومن كل حائل يحول بينى وبينك .. »

وتخلص رابعة نفسها لله الاخلاص كله ٠٠ ، ويصور لنا الاستاذ طه ذلك فى صور أخاذة ، ويسير بنا معها مترقبا درجة فدرجة ، فيرينا رابعة فى مقام التوبة ثم فى مقام الرضى ، ثم فى مقام المراقبة ، ثم فى مقام المحبة ٠٠

ويستفيض المؤلف فى الحديث عن منزلة المحبة ، فلا يتكلم فيهـــا عن رابعة فحسب ، وانما يتحدث عن هذه المنزلة فى الاسلام عموما موازنا بينه وبين مختلف العقائد والمذاهب والاديان ٠٠ لقد كتب المؤلف عن « مقام المحبة و « رائدة الحب الالهى » و « الحب والتصوف » و « المتصوفة وتعريفات المحبة » ٠٠ و « صور الحب عند رابعة » و « رابعة ومقام الغناء والحب » ، و « الحب والمعرفة » و « المحبة الالهية مقام اختص به الاسلام » و « الحب الالهى فى المسيحية واليهودية »و « الحب الالهى فى الفلسفة الاوربية » و « الحب الالهى فى القيد البوذية » و « المحبة الالهية هى روح الاسلام » ٠٠

والواقع أن هذا البحث على هذا النسق من السعة والشمول ، كان من أمس ما نحتاج اليه ٠٠ ذلك أن المستشرقين ومن لف لفهم يريدون دائما تصوير الاسلام بأنه لا مكان فيه لعاطفة الحب ٠٠ اذ هو يفصل بين الله والانسان فصلا تاما ، ويصور الله بالجبار والقهار ، والصلة بينه وبين عبده ليست الا صلة قهر واستبداد ٠٠

وينس المستشرقون ويهملون ما ورد فى الاسلام : من رحمة الله بعباده ، ولطفه بهم ، وحبه لهم ، وحبهم له ٠٠

والاستاذ طه يوضح كل ذلك ، ويسترسل فى بيانه استرسالا لايقدره حق قدره الا من عرف التصوير الخاطىء الذى يصور به الغربيون الاسلام

وفى أثناء سير الاستاذ طه بنا مع رابعة فى معاريج قدسها ٠٠ يرينـــا الأخطاء الجمة التى وقع فيها خصوم التصوف وخصوم رابعـــة ، حتى اذا وصل الى الفصل الاخير « مع الخالدين » جعلنا نحس احساسا قويا بصدق كلمة الاستاذ « ماسينيون » عن رابعة اذ يقول :

« انها تركت فى الاسلام أريجا من الحب ، وعطرا من الولاية لن يتبخرا ولن يزولا ٠٠ »

والواقع : أن الأستاذ طه أعطانا صورة منسقة منسجمة عن رابعة لم نكن نتصور أن فى الامكان ــ مع قلة المصادر ــ الوصول اليها ٠٠ وأعترف ان اشفاقى وشكى قـــد انقلبا الى غبطـــة وسرور ، ولكن ٠٠ ولابد من « ولكن » ٠٠ فكتاب الاستاذ طه لم يخل من اثارة أســـئلة فى النفس ، لا يجد الانسان عليها جوابا فى الكتاب ٠٠

ولا أريد أن أذكر الا سؤالين ٠٠ أولهما هين ، وربما كان للاستاذ طه العذر فى عدم الاجابة عليه لقلة المصادر ٠٠ والسؤال خاص بهذه الجـارية الطيبة « عبدة »

لقد كانت رابعة فقيرة .. فكيف لها بهذه الجارية .. ؟ وقد كانت رابعة ترى القيام بخدمة نفسها عبادة .. فكيف ترضى أن يكون لها جارية ؟.. وماذا تفعل رابعة بالجارية وحاجاتها من القلة بحيث تكاد تكون معدومة ؟

أما السؤال الثانى فخاص بموضوع خطير كل الخطورة .. وهوموضوع التأويل .. أعنى تأويل الصور الحسية وصرفها الى معان لا صلة لها بالمادة يقول الاستاذ طه ..

« رابعة أول من جرد الاشياء والصور من معانيها الحسية ، وأول من ابتدع هذا اللون من الايمان الصوفى .. !

وهو ايمان أصيل كامن فى كل آية من آيات القرآن الكريم ، ولكن رابعة جلته وأوضحته ، وفتقت أفقه ، وفجرت نبعه ، وأرشدت الناس الى لحنه ونهجه وسبله .. »

ثم يروى الاستاذ طه بعض ما يروى من الكرامات الحسية التى تعزى الى رابعة . ثم يقول :

« يجب أن نتفهم كل هذه الروايات على معانيها التجريدية .. فالرواية التى تقول : ان الكعبة جاءت لتقابل رابعة وسعت اليها .. فان المراد بالكعبة هنا .. معنى الكعبة .. رحمة الله مثلا .. أو قبول الله لحجها ..

ويستمر الاستاذ طه فى مثل هذه التأويلات .. ثم يقول :

« وكل قارىء للتصوف يجب أن يمسك بهذا المفتاح السحرى .. مفتاح التجريد الحسى .. الذى يطلعه على الحقائق الروحية .. المستترة وراء المعانى الحسية . ولنا أن نتساءل .. هل نفتح باب التأويل على مصراعيه .. فيتطرق الأمر الى جميع المعجزات ؟!

أم أن للتأويل حدودا ؟ فما هى تلك الحدود .. ؟

أما بعد ، فاذا كنت قد أطلت فى الحديث عن الكتاب .. فذلك لأنه خصب نفيس والله ولى التوفيق .

عبد الحليم محمود

* * *

فلسفة اقبال الروحية

للدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

محمد اقبال رائد من روائد التجديد الدينى فى الشرق الاسلامى ، وعلم من أعلام الفلسفة الاسلامية فى عصرنا هذا · أقام مذهبه الدينى على أساس من التصوف الاسلامى ، بعد أن فسره تفسيرا يتمشى مع نظرية « نيتشه » فى الانسان الاعلى ، ومع نظرية « برجسون » فى « التطور المبدع » ·

وله فوق هذا فلسفة خاصة ، فيها نفحات من مذهب الفيلسوف الالمانى «كانت» وفيها نزوع الى العمل وتغليب على جوانب النظر المحض ، ويبدو ان ما حاوله اقبال فى تاريخ الفكر الدينى الاسلامى شبيه فى بعض الوجوه بما حاوله « كانت » فى تاريخ الفكر الميتافيزيقى العربى · وقد عبر اقبال عن ذلك كله فى سلسلة من المحاضرات ألقاها باللغة الانجليزية سنة ١٩٢٨ ، ونشرها سنة ١٩٣٤ ، بعنوان « تجديد بناء الفكر الدينى فى الاسلام » ·

رأى اقبال ان الرجل الاوربى الحديث ، قد طغت عليه نتائج نشاطه العقلى فلم يعد يعيش بروحه ويكاد لا يحس حياة الباطن فهو فى مجال الفكر يعيش فى صراع مع نفسه ، وفى مجال السياسة والاقتصاد يعيش فى نزاع مع غيره ، وهو يجد نفسه فى أغلب الاحيان عاجزا عن ضبط أنانيته وشهواته وتكالبه على المادة تكالبا لا يعقبه غير الحسرة والشقاء ، وليست الحال فى الشرق بأحسن منها فى الغرب ، فقد فشلت صناعة التعليم الدينى ، وأخفقت طرق التصوف الجارية على أساليب القرون الوسطى ، كانت هذه الطرق فى الماضى هى التى تنمى عند الرجل العادى، قوة الحياة الداخلية ، وهى التى تعده للمشاركة فى سير التاريخ ، ولكنها انقلبت الى عقيدة قوامها التواكل والجمود وجعلته قانعا بجهله وقصوره الروحى ·

ولاحظ محمد اقبال ان الفكر الدينى فى الاسلام قد ركدت ريحه أثناء القرون الخمسة المنقضية ، ولا حظ انقضاء الزمن الذى كان فيه الفكر الاوربى يتلقى وحيه من العالم الاسلامى ، كما لاحظ السرعة الهائلة التى يتحرك بها المسلمون نحو الغرب ، ولكنه لم يجد فى ذلك ما يستحق اللوم، أو يدعو الى الخوف ، فعنده ان الثقافة الاوربية فى جانبها العقلى · انما هى امتداد لبعض المراحل المهمة فى ثقافة الاسلام ·

وانما الذى يخشاه محمد اقبال هو ان يجد المسلمون فى ظاهر الثقافة الاوربية البراق ما يجذبهم نحوه فربما وقفوا عنده دون ان يسعوا الى النفاذ

الى جوهرها الصحيح ، فلا عجب اذن ان تطلب الاجيال الناشئة فى الاسلام فى بلاد آسيا وأفريقيا توجيها جديدا لعقائدها ، وهذا هو الذى دعا محمد اقبال الى القاء المحاضرات التى أشرت اليها محاولا ان يجدد بناء العقيدة الاسلامية دون ان يغفل تقاليد الاسلام الفلسفية حرصا على الانتفاع بالتطورات الحديثة فى مختلف أبواب المعرفة الانسانية .

والمسائل العامة التى عرض لها محمد اقبال هى الصلة بين الفلسفة والدين وقد ناقشها فى محاضراته مناقشة فلسفية مؤملا من وراء ذلك أن يقدم للناس ما يعينهم على فهم معنى الدين الاسلامى باعتباره رسالة الى الانسانية .

ويرى محمد اقبال ان الدين ليس أمرا جزئيا ، وليس فكرا فحسب ، ولا شعورا فحسب ، ولا عملا فحسب ، انما هو تعبير عن الانسان كله ،وليس من سبب يدعو الى الظن بأن الفكر والحدس أمران متعارضان بل أصلهما واحد ، وكل منهما يكمل الآخر ، أحدهما يتناول الحقيقة مجزأة ،والآخر يتناولها فى جملتها ، وأحدهما ينظر الى الأزلى الخالد الذى تخطى حدود الزمان ، والثانى ينظر الى الحقيقة فى جانبها الزمانى المعين ، والحدس كما يقول «برجسون» نوع من العقل الراقى ، ونستطيع أن نلاحظ هنا وجه المشابهه بين فكر محمد اقبال ، وفكر محمد عبده .

ويرى محمد اقبال ان الانسانية بحاجة اليوم الى أمور ثلاثة : (١) تأويل الكون تأويلا روحيا (٢) تحرير الفرد تحريرا اجتماعيا (٣) اقامة مبادىء أساسية ذات مدلول شامل بحيث توجه تطور المجتمع على أساس روحى .

ولا شك فى ان أوربا الحديثة قد أقامت مذاهب مثالية على هذه الاسس، ولكن التجربة تدلنا على ان الحقيقة المنكشفة بواسطة العقل المحض عاجزة عن أن تثير فى القلوب من الحرارة ما يثير الاعتقاد الحى ، والايمان الشخصى، وذلك هو السبب فى أن الفكر المحض لم يؤثر فى الناس الا أثرا قليلا فى حين ان الدين استطاع أن ينقل من حال الى حال مجتمعات وأمما بأسرها .

ويرى محمد اقبال ان مثالية أوربا لم تكن قط من العوامل الحية المؤثرة فى حياتها ، ونتج عن ذلك وجود ذوات ملتوية ، وشخصيات مريضة ، تبحث عن نفسها فى ديمقراطيات غير متسامحة وكل مهمتها ان تستغل الفقير لمصلحة الغنى « وان أوربا اليوم أكبر عقبة فى سبيل رقى الانسان رقيا أخلاقيا » .

ومحمد اقبال يناشد المسلمين كما ناشدهم محمد عبده من قبل فيدعوهم الى ان يرجعوا الى دينهم ليتأملوه من جديد على ضوء الفكر الحديث وليحاولوا ان يقيموا حياتهم الاجتماعية على هدى تعاليمهم الاساسية، والغاية القصوى لتلك التعاليم عند اقبال هى تحقيق الديمقراطية الروحية .

تلك لمحة من فلسفة اقبال ، وهى فلسفة مثالية عملية معا وهى تسمو الى الخير والحق والكمال .

الصوفية فى الإسلام

بقلم البكباشى عبد المنصف نور الدين

ان كثيرا من الناس من أبناء هذا العصر يحسبون أن الصوفية بقضها وقضيضها تراث قديم مهجور ولكنهم مخطئون فى زعمهم هذا فانهم سيعلمون غدا أكثر مما يعلمون اليوم أن الانسان لن يستغنى فى حياته يوما عن الصوفية فى ناحية من نواحيها لان رياضة النفس ضرورة لازمة كرياضة الجسد وأكثر ما يلقاه الناس من عنت فى هذا العصر الحاضر انما هو انفلات زمام الانسان من يديه وهو أحوج ما يكون الى هذا الزمام كما أنه لا غنى له فى علاج جسده عن بعض الحرمان باختياره وعن بعض الشدة برضاه وأحرى أن يكون ذلك شأنه فى سياسة نفسه .

ولقد أصاب المهاتما غاندى قديس الهند المشهور حين قال : « اننا فى زمن الجحود بحاجة الى هذه الروح الصوفية التى تعبر عن جوهر الدين لجميع المؤمنين » .

ان الصوفية الاسلامية هى الجانب الذى يفهمه كل من يفهم روح الدين ولو لم يكن من المسلمين وانها هى الحكمة العميقة التى لا يحجبها اختلاف الشعائر والتكاليف بين الديانات .

ولقد شهد قديس الهند العظيم أن الاسلام قد أخرج للعالم طرازا عاليا من الصوفية ولو أنه على ما يظهر لم يفرق بين الصوفية والرهبانية فى غير الاسلام . فمما لا شك فيه أنه لا رهبانية فى الاسلام كما هو معلوم بنص القرآن الكريم « **ورهبانية ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان** » فيجب أن نفرق بين الصوفية والانقطاع عن الدنيا « الرهبانية » فالديانات الاخرى قد أخرجت من النساك المنقطعين أكثر ممن أخرجهم الاسلام من المتصوفين بغير شك . الا أنه يختلف الامر عند الكلام عن كل منهما . فان أقوال الصوفيين وآرائهم فى كل باب من أبواب الحكمة الالهية لتملأ الاسفار الكبار وهى أكثر بكثير من أمثالهم فى جميع الديانات الاخرى .

والصوفية أنواع ومذاهب وكل نوع من أنواعها وكل مذهب من مذاهبها قد كان له أئمة وأشياع بين المسلمين .

---

(١) نقلا عن مجلة « كلية البوليس »

فقد دان بالاسلام كما هو معلوم أناس من الهنود والفرس كما دان به العرب واخوانهم من الساميين ولكل أمة من هذه الامم مزاجها ولكل مزاج أثره من الوجهة الصوفية فلا عجب ان شمل الاسلام كل نوع من أنواع الحكمة الصوفية عرفه المتديتون .

وليس فى استطاعتنا الالمام بهذه الانواع جميعها ولو بالاجمال الشديد ولكننا نحيط بمدلولاتها الكبرى عل ذلك يهدينا الى ما ينطوى تحتها من الفروع .

فالصوفية من حيث الموضوع نوعان عظيمان : نوع العقل والمعرفة ،ونوع القلب والرياضة .

وهى من حيث علاقتها بالدنيا نوعان كذلك : نوع يتخطى الدنيا وينبذها ونوع يمشى فى مناكبها ويصل منها الى الله الخالق جل وعلا .

فمن الصوفية العقليين طلاب المعرفة الغزالى ، ولا يكاد يعرف فى عقول الفلاسفة عقلا يفوق عقل الغزالى فى قوة التفكير ولا يكاد يعرف موضوعا من موضوعات الحكمة الالهية لم يلتفت اليه محيى الدين بن عربى .

هؤلاء الصوفيون العقليون يذهبون بالعقل الى غاية حدوده ولا يتهيبون الشكوك والاعتراضات بل يقولون بلسان الغزالى أن الشك أول مراتب اليقين ولكنهم متى بلغوا بالعقل غايته ملكتهم نشوة الوجدان فأسلموا أمرهم كله الى الايمان .

وليس اشتغالهم بالعقل بمانع لهم أن يشتغلوا بالرياضة النفسية وانما يشتهرون بأفكارهم لانها الصلة بينهم وبين قرائهم ومريديهم وتغلب شهرتهم بالفكر على شهرتهم بالرياضة .

أما الصوفيون القلبيون فهم يلتمسون المعرفة المباشرة برياضة النفس على قمع الشهوات وعندهم أن شهوات الانسان هى الحائل بينه وبين النور فاذا ملك زمامها وأفلت من قيودها تكشف له النور فوصل الى مرتبة العارفين وأغناه صفاء نفسه عن بحوث الباحثين .

وهذا النوع من الصوفية يرفض الدنيا لانها وهم وغشاوة مزينة كالطلاء الذى يوضع على المعدن الخسيس فتخاله الانظار معدن نفيس .

ومن الصوفية نوع آخر يخوض غمار الدنيا ويسبر حقيقة نفسه بتجاربها وغواياتها وعنده أنها جميلة لانها من خلق الله وكل ما يخلقه الله جميل .

وهذا النوع من الصوفية فى رأينا أقرب أنواعها الى الاسلام ولا حرج على المسلم أن يرى للدنيا ظاهرا خداعا وباطنا صادقا أجمل من ظاهرها فان قصة الخضر مع موسى عليهما السلام تدور كلها على التفرقة بين الظواهر والبواطن فى الاحكام والنيات .

الا أن الصوفى المسلم يقاوم مطامع الدنيا لانها تحجبه عن حقائقها العليا ويضربون المثل لذلك بالغزالى الظمآن فى الصحراء فلا حرج عليه أن يطلب الرى من الماء ولكنه اذا غفل عن نفسه لم يسلم من خداع السراب فيتردى فى الهلاك فاذا أصابه الظمأ فليعلم موارد الماء وليكن على حذر من موارد السراب وليفرق كما يقولون بين سراب لا شراب فيه وبين شراب لا سراب حوله وتلك هى الرياضة التى تستفاد من قمع الشهوات ٠

والدين الاسلامى قد انتشر فى أقطار شاسعة كانت فيها من قبله عبادات وثنية وغير وثنية وقد تسرب بعضها الى أبناء تلك الاقطار واختلط بعضها بالعقائد الاسلامية من طريق الوراثة والاستمرار ولم يسلم التصوف من تلك الاخلاط فاقترن فى أقوال أناس من المنتسبين الى الاسلام بما يجوز وما لا يجوز ٠

ويمكن أن يقال أن الاسلام ينكر من تلك المذاهب مذهبين منتشرين فى الصوفية على العموم ٠ ينكر مذهب الحلول كما ينكر المذهب القائل بوحدة الوجود ٠

فلا يقر الاسلام مذهبا يقول بحلول الله فى جسد انسان أو فناء الذات الانسانية فى الذات الالهية ٠ واذا تحدث المتصوف المسلم عن الفناء فسره بفناء الشهوات أو فناء الانانية وحلول محبة الله محلها من القلوب والارواح٠

ولا يقر الاسلام مذهبا يقول بوحدة الوجود أى أن الكون كله بسمائه وأرضه ومخلوقاته العلوية والسفلية هو الله ٠

واذا أجاز المتصوف المسلم معنى من معانى الوحدة الوجودية فهى عنده وحدة الفضائل الالهية ووحدة التوحيد ٠

وقد يوفق المسلم الصوفى بين الظاهر والباطن فيقول أن الشريعة من غير الحقيقة رياء وكذب وأن الحقيقة من غير الشريعة اباحة وفسوق ٠

وقد يوفق بين أمور الدنيا وأمور الاخرى بمذهب وسط بين الطرفين فليس الزاهد عنده من لا يملك شيئا بل الزاهد عنده من لا يملكه شىء فهو مالك للدنيا غير مملوك لها بحال ٠

عبد المنصف نور الدين

***

الطب النبوى

للدكتور ابراهيم مصطفى عبده

رئيس المعامل بكلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة

(١)

سيدى يا رسول الله ـ هل تسمح لى أن أتقدم الى مقامك الذى لايدانيه أى مقام فى أدب وخشوع ملتمسا قبسا من نور هدايتك · ونفحة من كريم نفحاتك حتى يتسنى لى اماطة اللثام عن جزء من سنتك الشريفة فأستخرج من كنزها الثمين دررا غالية · وحكما عالية · ترشد الحائرين · وتفحم المعاندين · وتزيد المؤمنين الصادقين تمسكا بالدين ·

أيها القارىء الكريم ـ تعالى معى الى روضة الاحاديث الزاهرة نغترف من بحرها الزاخر · ونرتشف من منهلها العذب · ونقطف من ثمرها اليانع · كيف لا وهى جوامع الكلم ونفائس البلاغة التى لا تبارى

قال تعالى (**وما ينطق عن الهوى**)

وسأبين فى ما يلى ـ بعد أن بحثت ودققت ـ أن الأحاديث الطبية توافق تماما أصول الطب وقوانين فن العلاج · وما بالكم بطب جامع يوحيه العليم بحقائق المخلوقات · ودقائق الكائنات الى معدن الرحمة · ومهبط الحكمة ·

ولا أكون مبالغا فى القول أو بعيدا عن الحقيقة اذا قررت أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كما كان طبيبا للأرواح كان كذلك طبيبا للأبدان ·

فأما طبه للأرواح فظاهر لأنه طهرها من عبادة الاوثان · وأرشدها الى توحيد الرحمن · ورسم لها من النظم مايكفل سعادتها فى الدنيا والآخرة ·

وأما عنايته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بصحة الاجسام فيلمسها كل من تصفح كتب الحديث ·

ولسائل أن يسأل ما الذى حدا بالرسول الرحيم أن يهتم بطب الاجسام ؟ وما هى الصلة بين الطب والدين ؟

فالجواب : معلوم أن الانسان مكون من روح وجسد ولا غنى له فى الحياة الدنيا بأحدهما عن الآخر · بل الواجب عليه ملاحظتهما معا · وان أحكام الدين الحنيف مطابقة تماما لادراك العقل البشرى · ولم تنزل لنؤمن بها

قدرا أو نسلم بها عفوا بل أمرنا فى كثير من آى الذكر الحكيم بالتفكير . ولن يصح التفكير أو يتم المراد منه الا اذا كان الجسم سليما من الامراض . حتى يصل العقل الى الصواب . ويهتدى الى الرشاد . وقد قيل (العقل الحكيم فى الجسم السليم) .

وبالصحة الجيدة تؤدى العبادة على أكمل وجه من صلاة وصيام وحج وجهاد فى سبيل الله .

بالصحة الجيدة يتسنى لأفراد الامة كسب أرزاقهم وتنظيم أمورهم . فيتآزرون فى ما يعود عليهم جميعا بالنفع . ولا يكون بعضهم كلا على البعض الآخر .. واذا قام كل منهم بواجبه أصبحت الامة منيعة الاركان عزيزة الجانب .

بالصحة الجيدة تكافح الامة أعداءها . وتناضل عن بقائها . وتهابها الأمم الاخرى فلا تكون مطمحا لأطماعهم ومرتعا لمظالمهم .

ومن ذلك نفهم المعنى المراد من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف)

ومن أظهر الأدلة على أن الاسلام يحافظ على بقاء الناس وأن يحيوا حياة سعيدة تحريم القتل ووأد البنات والانتحار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا)

ينهى هذا الحديث الشريف عن الانتحار بأية وسيلة كانت . ويبين جزاء المنتحر وما له فى الآخرة تخويفا وتهديدا . وزجرا ووعيدا . حتى لايلجأ مؤمن الى الخلاص من حياته والقضاء على نفسه والسعى الى حتفه بظلفه ان صادف عقبة فى دنياه يعجز عن تذليلها أو حلت به مصيبة ينوء كاهله عن حملها . ويجهل ذلك المسكين أنه لو صبر قليلا لفرج الله ضيقه . ومهد طريقه . وأبدله بعد الخوف أمنا . وبعد الحزن بشرا . وبعد الفشل نصرا (**فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا**) ولن يغلب عسر يسرين كما فسر المعنى علماء اللغة .

فالانتحار أوله اليأس وقطع الرجاء . ووسطه محاربة الخالق بعدم الرضاء وآخره الخسران وسوء الجزاء .

أما ما ورد فى القرآن الكريم عن فوائد الصبر . وما خص به صاحبه من عظيم الاجر فيزيد على سبعين آية .

أيها الطالب الذى يتملكك الجزع واليأس عند رسوبك فى الامتحان . فتحاول الانتحار • هل تريثت قليلا • وفكرت فى مصرعك ومصيرك • وما تخلفه لأهلك من الأسى والحسرة • ولئن فاتتك فرصة فلن تفوتك أخرى. فكم أيقظ اليأس فى الناس همة • وأوجد الضعف قوة •

ومن الانتحار البطىء تعاطى **المخدرات** • والاصل فى اكتشافها فى الطب الحاجة الى خواصها المسكنة لآلام بعض الامراض • ولكن الناس أساءوا استعمالها فانقلبت عليهم خطرا كبيرا • وعرا مستطيرا • وأصبحت معولا لهدم الانسانية وانتزاع المروءة واقتلاع زهرة الشباب • ومنجلا لحصد الرؤوس وازهاق النفوس •

واذا كان الاسلام نص على تحريم الخمر لتأثيرها السيىء والمضار التى تنجم عنها ـ كما سيأتى بعد ـ فانه كذلك يحرم المخدرات لانها مغيبة للعقل مثل المسكرات بل ان أضرار المخدرات أدهى وأمر •

وفى أوامر الاسلام ونواهيه من الحكم الطبية الشىء الكثير • فان تأدية الصلاة مثلا من رفع اليدين وخفضهما والقيام والقعود • والركوع والسجود حركات رياضية تفيد الجسم وتبعث فيه النشاط وتلين المفاصل وتساعد المعدة على الهضم وتنظم حركة الدم •

وان المغزى من فرض الزكاة أن يتمكن الفقير من اطعام نفسه ومن يعولهم فلا يهلكون جوعا •

كما أن الحكمة الطبية فى تحريم الزنى السلامة مما ينشأ عنه من الامراض الوبيلة مثل الزهرى والسيلان والسل التى تقشعر عند ذكرها الاجسام • وتحار فى هول أخطارها الأفهام •

للبحث بقيـــة

ابراهيم مصطفى عبده

* * *

حقيقة التجربة الصوفية

للدكتور محمد على أبو ريان

أستاذ الفلسفة والتصوف بجامعة الاسكندرية

- ١ -

اذا كانت الفلسفة تطبق منهج الاستدلال العقلى لاستشفاف جوانب الحقيقة ، والعلم يستعمل المنهج التجريبى الذى يقوم أساسا على الادراك الحسى ، فان التصوف يستعمل أسلوبا فريدا آخر غايته استجلاء الحقيقة بكاملها عن طريق المنهج التجريبى ووسيلته الذوق أو الحدس الصوفى ، والممارسون لهذا الأسلوب المعرفى يستهدفون المشاهدة العيانية الذوقية للحقائق فى نبضاتها الحيـــة وتشخصها الروحانى الكامل وذلك خـــلال أرصادهم الروحية .

والتصوف يعد ــ فى الغالب ــ استبطانا للتجربة الدينية أو هو كمـــا سنرى فيما بعد ــ الوجه الروحى المشرق للدين والذى يقوم أساسا على تجاوز الرسوم الظاهرة فى علاقة العبد بالرب ، واحلال علاقة الحب والرجاء محل الخوف وطلب المثوبة ، واستجلاء صفات الجمـــال والبهاء والجلال ، والانغمار فى بحر النور والتعلق بمشارف العزة فى رحاب الحضرة الالهية حتى تحترق الذات من قبسات سبحات الحق . ومنذ اللحظة التى يتوكل فيها السالك السير على أن يبدأ الرحلة الى جناب الحق فهو قد امتاز عن كثرة الخلق وعامة المؤمنين الذين يقفون عند منطوق الفقهاء وظاهر الأمر والنهى ، فيولى المريد وجهه نحو « الشيخ » « صاحب الخرقة » ، ومؤتمن السر وحجة التعليم .

وقد تساءل كثير من العلماء والفلاسفة عن محك التجربة الصوفيـــة ؟ ما هو الأساس الذى تقوم عليـــه صحتها ؟ ان الفلاسفة يستعملون المنطق الذى يقوم على قوانين الفكر الاساسية ، والتجريبيون الحسيون يستندون الى شهادة الحس أى الى الواقع الخارجى المحسوس بينما الصوفية يمارسون تجارب روحية فريدة لا يمكن وصفها أو نقلهـــا للغير فما دليلهم على صحة هذه التجارب ؟ وللجواب على هذا التساؤل سنحاول أن نستعمل المنهج المقارن فاذا كان التصوف ظاهرة أثبتت وجودها لدى المؤمنين عند سائر الأديان سواء أكانت سماوية أم وثنية فهى دون شك ظاهرة انسانيـــة لا تتعلق بدين بعينه أو بشعب أو بجنس بعينه ، وبالتالى فان الاستقراء التاريخى لظاهرة التصوف يثبت انها لاحقة لظهور الدين متعلقة به ومتأخرة

عن فترة الصدر الاول لهذا الدين ، وهذا يعنى أن التصوف فى حقيقة أمره تعميق روحى للحياة الدينية وترجمة تجريبية عن مضامين المغيب الدينى أو الاسرار اللاهوتية . هذه هى المقدمة الاولى فى دليلنا على صحة التجربة الصوفية ، فوجودها عند كافة الشعوب والاجناس وارتباطهـــا بالدين فى فترة معينة كل هذا يقوم حجة لدحض دعاوى الخصوم والمبطلين .

ويتعين علينا بعد ذلك استكمالا لأسباب الرد واثبـــات هذا الأمر أن نتناول معطيات التجارب الروحية بالمقارنة ، فرغم اختلاف الصوفية فى التعبير الرمزى عن معطيات التجارب الروحية الا أننا نلاحظ أن ثمت توافقا بل تطابقا بينهم فى المنهج وفى الموضوعات التى يعالجونها بل ان أوصافهم لعالم القدس تكاد تتفق ، وكذلك فان السلم الصوفى يكاد يكون واحدا ، واذا كان ثمت اختـــلاف بينهم فى فهمهم لمعنى الفناء والمحـــو فانها أمور يستحيل استعمال الدقة فى التعبير عنها فشتان ما بين المشاهدة فى حالة الوجد وسكر الطبيعة وبين ما يعبر به عنها من لغة ابتدعت أصلا للاشـــارة الى المحسوسات وكما يقول ابن خلدون انه يستحيل أن نزن الذهب بميزان التراب وليس ثمت مقياس واحد ينطبق على موجودات عالمنا هذا والذوات التى تعمر المملكة الروحانية .

ومما تجدر الاشـــارة اليه أيضا أن نشاطنا العقلى يتـــأثر فى الغالب بتجاربنا الحسية وانه مهما بذلنا من جهد فى عمليات التجريد فان آثار الادراكات الحسية لا تنفك تلون أكثر معطياتنا العقلية ايغالا فى التجريد، وحتى اذا أفلحنا فى تعرية أفكارنا من ردائها الحسى الا اننا مضطرون الى أن نضع هذه الافكار فى صيغ لغوية لكى نتعامل بها مع الغير ، واللغـــة هى فى حقيقة الامر انعكاس اجتماعى لادراكنا الحسى فهى لا تتعدى التجربة الواقعية ، ولهذا فانها لا تصلح مطلقا للتعبير عن المجالات الروحية العالية ذلك لان التجربة الصوفية هى فى حقيقتها دعوة لتجاوز حدود التجربة الواقعية .

ومعنى هذا أن ما نلاحظه من اختلاف فى التعبير عن مضمون التجربة الصوفية عند أساطين الحياة الروحية لا يهدم دعوانا فى القول بوحـــدة « المضمون » و « الهدف » للتجربة الصوفية عند كافة « الواصلين » .

ومما يؤيد دعوانا هذه ما نجده فى كتابات الصوفية من جميع الاديان من اتفاق على بعض المبادىء الهامة .

فنحن نستشف من انتاجهم أن هناك شبه اجماع على أن ثمت صنفين من التجارب الصوفية ، صنف يكون محتوى التجربة فيه موضـــوعات روحية وصنف آخر يكون محتوى التجربة فيه ذاتيا محضا .

والنوع الاول من التجارب الصوفية يتناول انبات متيافيزيقية خالصـــة

الروحانية كالانوار القاهرة والملائكة عساكر الحضرة الالهيـــة وغيرها من الذوات الملكوتية مما يشاهده الربانيون عيانا فى عالم القدس وتعجـــز اللغة آنئذ عن مطاوعة حقيقة الرصد فيكتفى الصـــوفى بالرمز كناية عن عجزه عن النقل ٠

أما النوع الثانى من التجارب الصوفية أعنى تلك التجارب ذات الطبيعة الذاتية المحضة فهى تتضمن الشعور بالرفع التدريجى للحـدود وللصفات الشخصية المميزة للنفس حتى تنحسر عنها شواغل الحس وتنجاب عنهـا السمات التى تربطها بالواقع الملموس ، فتعود الى الانغمار فى بحر اللانهاية وبلغة التصوف الهندى تفنى فى النرفانا ، وبلغة التصوف الاسلامى يحصل بها ما يسمى بحالة « المحو » وهذه حالة من حالات الوجد السلبية ٠

ولكن هذين النوعين من التجربة الصوفية لا ينفصل أحدهما عن الآخر بل يكملان بعضهما بعضا ، فلن يستطيع الواصل أن يرصد وقائع العالم الروحانى الا بعد أن يكون قد استكمل عدته من مستلزمات الطريق أى بعد أن يكون قد اجتاز مراسم الرياضة الروحية التى تنصب على الذات وسيصل المريد فى النهاية الى هدفه بتفضل من جناب الحق حيث الثبات والديمومة والسكون المطلق وذلك بعد رفع سمات الانائية والهوية ٠

غير أن بعض مؤرخى التصوف يرون أن مشاهدة الذوات الروحانيـــة قد تعطل السير الحثيث للسالكين الى هدفهم الاسمى ، وذلك لان الواصل لا يستطيع ان يتخلف من شائبة الحس أثناء مشاهدته لها ولهذا فهم على ما يبدو يميزون بين هذين النوعين من التجربة الصوفية فالتجربةالشخصية البحتة قد تحمل السالك الى هدفه بسرعة أما التجربة الموضوعية فقـــد تعطل سيره الحثيث الى هذا الهدف ، ولكننا نرى بين هذين النوعين من التجارب الصوفية ترابطا واضحا لا انفصام له ، أما دعوى تدخل شوائب الحس أثناء الرصد الروحانى فهى دعوى لا دليل على صحتها فتلك حالة من حالات الوجد الفائقة للطبيعة التى لا يمكن مقارنتها بواقعنا الشعورىوالتى يستحيل أثناءها « الواصل » الى « انية روحية » لا تربطها بعالمنا هذا أية وشائج ملموسة ٠

هذه فكرة أولية عن وحدة المنهج فى التجربة الصوفية عند ســـائر المتصوفة وفيها ما يشجب أدلة النافين لحقيقة هذه الظاهرة الانسانية أى التصوف والتى تمثل أرفع مراتب السمو البشرى ٠ وسنتناول فى مقالنا القادم ان شاء الله موضوعات هذه التجربة الروحية الفريدة ٠

محمد على أبو ريان

لابد من نور

للاستاذ كامل البوهى

كان يفكر دائما فى تثبيت عرشه ، وكان عرشه لا يقوم الا على الظلم والبغى ، ونشر الجهل ومحاربة الحرية ، ولعله من أجل ذلك لم يكن يكره شيئا كما يكره النور ، ولم يكن يزداد سلطانه الا عندما يعم الجهل ، ولم يكن يفرح لشىء كما يفرح لمنظر الدماء ، أو لرؤية مواكب العبيد .

وكان له أعـــوان وأتباع ، سادوا فى ظلام الجهل ، وصادوا فى كدر الماء . كما كانت له وسائل وشراك ، انتشرت حتى عمت البلاد وأفسـدت الحياة .

وقد كانت اثارة الفتن من أهم وسائله ، جعل يسلطها على القلوب كيلا تجتمع ، وعلى الشمل حتى لا يلتئم ، كما جعل يثير الحقد فى قلوب الافراد على الأفراد ، وفى نفوس الجماعات على الجماعات ، فعاش القـوم فى ظلام وحيرة ، وفى بغض وشحناء وفى قسوة يلقونها من نفوسهم ومن خارج نفوسهم حتى فسدت حياتهم ، وتفرقت قلوبهم ، وأظلمت أفكارهم ، وساء تصورهم للاشياء وانحرف ذكاؤهم الفطرى ، وحرموا حياة الحب ونعيم السلم ، وقرار الامن ، ومتعة الحياة !!

وليت الامر قد وقف بهم عند هذا الحد ، وكيف يقف الامر عند هـذا الحد ، وطريق الشر أمامهم فسيح ، والظلام حولهم يغطى كل شىء ، كما يغطى الجهل على عقولهم ، ويطمس الحقد والجشع والبغضاء على قلوبهم ؟! وقد تســلم زعامتهم رأس الشر ، ومنبع الدسائس والفتن ، كيف يقف الامر عند هذا الحد وقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، عبدوا كل شىء الا الله ، عبدوا الاحجار وغير الاحجار ، عبدوها وهم أكثر الناس معرفة بأنهـــا لا تضر ولا تنفع ، عبدوها لان الجالس على العرش يريد لهم أن يعبدوها ليصرفهم بها عن عبادة الله ، ولم تكن عقولهم لترتاح أبدا الى عبادة الحجر والبشر ، لو أن الجالس على العرش كان يخلى بينهم وبين عقولهم ، فقـد ذهب أحدهم ذات مرة ليقدم القربان لمعبوده الحجـــر ، وهو لا يحس بالطمأنينة الى هذه العبادة ، ولكنه قدم القربان لان القبيلة كلها تقدم لهذا الصنم القربان ، قدم قربانه وانصرف ، ولكن شيئا جعله يلتفت بعد قليل

فيرى ، ويا هول ما يرى ، يرى كلبا يعتدى على القربان ، والصنم مغلوب على أمره ، أصم ، أبكم ، أعمى ، فيقف الرجل مبهوتا مبهورا ليرى الكلب وقد فرغ من التهام القربان يرفع رجله ليبول على المعبود الصنم !!

يا للهول ، أذلك مبلغك من الحول والطول ؟!

أهذه قدرتك ومكانتك ؟! أهذا هو الاله الذى يرجون رحمته ويخشون عذابه ؟! لا بد من نور ، لا بد من نور . ولكن الجالس على العرش الاثيم ، والمتسلط على عقول القوم ونفوسهم وقلوبهم ، كان يبذل جهده كله ليحجب عنهم النور ، ويغريهم بعبادة الاحجار وغير الاحجار ، ويشعل الحروب بينهم وبين أنفسهم حتى هانت عليهم الحياة فأراقوا الدماء ، ودفع الفقر كثيرا منهم الى قتل أولاده ، يقتلهم لانه فقير ، أو لانه يخشى الفقر ، لا يمنعه عن ذلك عطف ، ولا يردعه قانون ، ولا يرده دين .

كل ذلك والجالس على العرش يزدهى طربا لانه دبر لهذا كله ورأى نتيجة تدبيره تتم على ما يحب ويرضى ، ولانه يعلم أن هذه المفاسد هى قوائم عرشه ، وأنه لا بد له من العمل على استبقائها حتى يستقر عرشه ، بل كان يعمل دائما على زيادة هذه المفاسد ، حتى كادت الامة أن تتحول الى أحطاب .. الى هشيم .. الى رماد !!

وثقل الظلام حتى أصبح الجو كتلا من الظلام الكثيف لا يستطيع البصر أن ينفذ منه الى شيء غير الظلام .

* * *

ومن العجيب أن الظلام كان منتشرا فيما حول هذه الامة أيضا ، حتى ضاقت نفوس الاحياء بالظلام ، وسئمت الحياة الثقيلة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وأخذوا يلتمسون الخلاص :

لا بد من نور ، لا بد من نور !!

فقد تاه القطيع ، وضل السارى ، وانتشرت اللصوص .

لا بد من نور ، لا بد من نور !!

فقد تخبطت العقول فى أمواج من الجهل ، وطالت بالقوم حياتهم الثقيلة ، حتى أصبح الموت أمنية مريحة جميلة ، وما قيمة الحياة اذا كانت ظلاما فى ظلام ؟!

وما لذة العيش اذا حرم الانسان حتى نور الامل ؟!

وأى أمل لمن يعيشون أعداء لذوى أرحامهم ، أعداء لأخوتهم أعداء لابنائهم ، أعداء لانفسهم ؟!

أى أمل لقوم يسيرون فى الحياة وهم لا يعرفون الى أين ؟ أى أمل فى الظلام الذى لا ينتهى الا ليعقبه ظلام أشد كثافة وأكثر صفاقة ، وأثقل وقعا على الضمائر والنفوس ؟!

لا بد من نور ، لا بد من نور .

فقد طال عهد الظلام ، وطحنت البشرية مطامع الملوك والسادة ودفعهم ابليس الى أعماق الشر ، وهو جالس على عرشه الآثم ، يفكر دائما فى تثبيت أركانه ، وتدعيم قوائمه ، ويعمل على اثارة الحروب ، ووأد البنات ، وشرب الخمور ، ونشر المفاسد ، ويدعو لعبادة الاصنام .

ويحاول أفراد من جزيرة العرب أن يهربوا من الظلام ، ويلتمسوا نورا من خارج بلادهم ، فيتجه بعضهم الى بلاد الروم ، ويتجه بعضهم الى بلاد الفرس ، ولكن وقع المفاجأة كان على نفوسهم شديدا حينما وجدوا الظلام ينتشر فى بلاد الروم وينتشر فى بلاد الفرس ، وحينما وجدوا أن الروم والفرس قد أحسوا بضيق شديد من هذا الظلام ، وأن بعضهم يحاول الهجرة الى جزيرة العرب ، لعله يجد قبسا من النور يبدد به ظلام حياته ، فيصطدم بكتل من الظلام .

* * *

ولكن ، انظر .. ما هذا الذى ينبثق من بعيد ؟! انه النور يظهر فجأة ، ويظهر قويا ، فيمحق الظلم ، ويبدد الخوف ويمحو الظلام .

انه النور الالهى ، يجذب اليه القلوب كما يجذب البصائر والأبصار . انه النور القدسى ، يظهر فى حى من أحياء مكة فيبدد ظلام القلوب فى الشرق ، وينشر أضواءه القوية فى الغرب . انه النور يلمع فى الصحراء فينشر الضوء فى بقاع الأرض ، ويخرج الناس من ضلال الشك والحيرة والاضطراب ، الى هدى اليقين والأمن والاستقرار . نور يظهر فى مكة بمولد محمد بن عبد الله ، فيهتز عرش ابليس ، وتندك أركانه ، وتتحطم قوائمه ويخر صاحب العرش الآثم من هول المفاجأة وقوة النور مغشيا عليه ..

كامل البوهى

* * *

ندوة الاسلام والتصوف

(موالد الاولياء)

اجتمعت الندوة الشهرية « لمجلة الاسلام والتصوف » فى تمام الساعة السابعة من مساء يوم الاربعاء ٩ من ربيع الثانى عام ١٣٧٨ هـ ٢٢ أكتوبر عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية ٠

وقد حضرها من أعضاء الندوة الاساتذة : سماحة السيد محمد محمود علوان ، والدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور محمد غلاب ، والدكتور محمد يوسف موسى ، وحسن علوان ، وكامل البوهى ، والسيد ميرغنى الادريسى ، والسيد محمد عيد الشافعى ، ومالك عثمان خضر وطه عبد الباقى سرور ٠

وحضرها الاساتذة : عبد الله الشربينى شيخ مسجد سيدنا الحسين ، وأبو زيد سالم مراقب كلية اللغة العربية ، وعبد السميع شبانه الاستاذ بكلية اللغة العربية ، وعبد المطلب صلاح امام ومدرس مسجد سيدنا الحسين وحامد أبو زيد ، والسيد احمد ماضى أبو العزائم ، وعبد العزيز الجمل ، ومحمد شاهين ، وعلى احمد الميهى ، وابراهيم محمد ، والسيد الجبالى ٠

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان مشايخ الطرق الصوفية ، مرحبا بالسادة المجتمعين ٠ ثم عرض الاستاذ طه عبد الباقى سرور ، موضوع الندوة ، وهو :

(موالد الاولياء)

● سماحة السيد محمد محمود علوان :

أحب أولا أن أكشف عن خطأ كبير يشيع فى أفق حياتنا الاسلامية ويتردد دائما على ألسنة الناس فى أحاديثهم وفى جدلهم

هذا الخطأ هو الفهم الضيق الجامد لكلمتى ٠ السنة والبدعة ٠ فقد استغل فريق من الناس ٠ عن جهل أو عن عمد هاتين الكلمتين استغلالا سيئا ، أثر أثرا ضارا بالمجتمع الاسلامى ، وبتطور الحياة الاسلامية ٠

فكل أمر لم يؤثر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكل أمر لم يحدث فى عهد صحابته رضوان الله عليهم ، فهو لدى هذا الفريق من الناس بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ٠

ولا جدال فى أن هذا الفهم المتحجر يتنافى مع روح الاسلام وتعاليمه التى جاءت صالحة لكل زمان ومكان ، صالحة لكل امتـــداد حضارى ، ولكل خطوة تخطوها البشرية فى رحلتها الطويلة فى حياتنا الدنيا .

ولقد جاء الاسلام بالكليات العـامة ، وترك الجزئيـات ، وترك التطبيـق للناس ، وللتطور ، وللحياة المتحركة .

والرسول عليه الصلاة والسلام ، يفتح لنا أرحب الآفاق اللازمة للحركة وللتطور .

روى الامام مسلم فى كتاب العلم من صحيحه المشهور ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من سن سنة حسنة فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء .

واذن . فليس كل جديد بدعة ، فمن أضاف الى الحيـاة الاسلامية جديدا نافعا لايتعارض مع الكليات الاساسية للاسلام ، فقد أضاف سنة حسـنة ، له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة .

أما الحجر على الحياة الاسلامية ، ومحاولة حبسها داخل قوالب ضيقة لاتمتد أقطارها ، ولا تتسع آفاقها ، فليس من الاسلام ، ولا من روحه وتعاليمه .

ورجال الفقه الاسلامى مثلا ، حينما اتسعت عليهم الحيـــاة ، وتشـعبت مطالبها ، وتعددت مشاكلها ، ابتدعوا وابتكروا وقاسوا ، وأوجدوا لنـا بعد الكتاب والسنة ، مصادر أخرى للتشريع ، كمنـافذ للامتـداد والتطور .. أوجدوا لنا الاجتهاد ، والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع .

كما استفادوا من القوانين والانظمة التى وجدوها فى البلاد التى فتحت ، فاقتبسوا من مناهجها ، وأوجدوا أبوابا ، وفتقوا آفاقا .

ورجال الادارة والحكم وأمراء المؤمنين فى الدولة الاسلامية ، حينما تحولت الامة الى امبراطورية عظمى اتخـــذوا الحراس والحجاب ، وابتدعوا نظمـــا للضرائب والجباية وتنظيم الجيوش ، لم تكن موجودة فى عهد الرسول ، ولا فى عهد صحابته .

وهكذا لايمكن للحياة فى نظر الاسلام أن تجمد ، أو تقف ، أو يوصم فيها كل جديد نافع ، بأنه بدعة حينا ، وبأنه لم يكن فى عهد الرسول ولاصحابته أحيانا .

ولقد دفعنى لهذا العرض السريع للحياة الاسلامية النامية المتطورة ، أن بعض الناس ، كما سبق أن أوضحت ، أغرموا ، أو احترفوا التهجم على بعض شعائر التصوف بدعوى أنها من البدع التى لم تكن فى عهد الرسول عليـه السلام ، ولا فى عهد صحابته الابرار .

لقد أوجد الصوفية ، فى أفق الحيـــاة الاسلامية ، نظمـا للسلوك وآدابا للطريق ، اقتبسوها من روح الاســلام ، كمـا اقتبس الفقهـــاء الواجبات والمندوبات فى الفقه بشطريه من عبادات وتشريع ٠

وأوجد الصوفية أيضا فى أفق الحياة الاسلامية سنة حسنة نافعـــة لهم أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ٠ تلك هى سنة الاحتفـــال بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبمولد الاقطـــاب والاولياء ممن اتفق على صلاحهم وامامتهم ، وعرف عنهم جهـــادهم فى سبيل الله ، وفى سبيل نفع المسلمين ، وارشادهم الى دينهم وربهم ٠

● الدكتور محمد غلاب :

أولا مســألة البدعة التى اســتغلها استغلالا سيئا بعض المغرضين ، كمـا شرحها لنا بدقة وعمق سماحة السيد علوان ، مسألة خطيرة جدا ، لأنهـا يترتب عليها حكم قاس على الاسلام ، حكم لايجعله يمتاز عن الديانات الزمنية والموضوعية الاخرى ، لو أن آرائهم اتبعت وعمت وسادت الحياة الاسلامية ٠

لأن الاسلام يمتاز بأنه الدين الفطرى الذى يكيف المجتمعـــات فى جميع الازمنة والامكنة بتكييفه الخاص ٠

فالاسلام نور يقتبس منه كل مايصلح للمجتمعات فى كل زمان ومكان ، ولو أننا قصرنا مايؤخذ من الاسلام على عهد الرسول وعهد صحابته رضوان الله عليهم لضيقنا قواعد الاسلام ، وآفاق الاسلام ، وجعلناه دينا زمنيا كغيره من الاديان ٠

اذن فهذه الفكرة خاطئة ، ويجب أن تحارب بقوة وقسوة ، وهناك حديث يؤيدنى : وهو قول الرسول صلوات الله وســلامه عليــه « أنتم أعلم بأمور دنياكم »

فاذا جد فى المجتمع جديد ، أو جد شىء لم يعرفه الناس ، فانه يجب عليهم أن ينظروا ، هل وجد فى القرآن قدح فيه ؟ ثم ينظروا فى الحديث النبوى ، هل ورد فيه طعن فيه ؟ فان لم يجدوا ، نظروا فى آراء الصحابة ٠ هل وجد قدح أو جرح ، فان لم يجدوا ، وجب أن يطبقوه بما يصلح لدنيـاهم عمـلا بالحديث الشريف ٠

والاعلم بأمور دنياه يجب أن يأخذ بالاصلح ، ولايتحجر ولا يجمد ، لأن العلم نور ، وسير الى الامام ، واقتباس واجتهاد وتطور ، وحسبنا فى تمزيق هذه الفكرة الخاطئة التى قامت مرتكزة على كلمة البدعة ماقاله سماحة السيد علوان ٠

ويدخل فى الجديد ، وفى التطور ، وفى العمل بما فيه صالح الحياة وخير المجتمع ، هذه الشعائر الصوفية ، والذى يعترض عليها انما هو جاهل أو دعى ، ومع الاسف لايوجد فى أى بلد آخر من الادعياء كما يوجد فى بلادنا ٠

وأنا آسف ، ولكنه الحق ، فالجهل أساس للهجوم . مع أن الجهل كان يجب أن يكون أساسا للصمت ؟

ولكن هؤلاء الذين يطعنون على الصوفية هم أبعد الناس عن فهم الصوفية، ولا يفهمون الا اسمها وحروفها

ومن هذه الشعائر النافعة الصالحة احياء مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحياء موالد الاولياء

وهذه الموالد يحلو للذين يبحثون فى التاريخ ويتغلغلون الى أحشائه ، يحلوا لهؤلاء أن يعلنوا ، وأن يصيحوا ، بأن الموالد قد ابتدعها الفاطميون ، ليشغلوا المسلمين عن سياستهم وعن مخالفتهم للدين ، فكانوا يشغلونهم بمولد أثر مولد ليفرقوهم فى سلسلة من الاحتفالات تنسيهم بدع الفاطميين وأعمال الفاطميين

يحلوا لهؤلاء أن يصوروا الموالد على هذه الصورة ، ولا نريد أن نناقش مناقشة تاريخية فقد يكون فى هذا القول أشياء صحيحة وأشياء كاذبة

وقد يكون عهد الفاطميين قد اختلط فيه العمل الصالح بالعمل السيء . وانما واجبنا أن ننظر الى الهدف الصحيح من الاحتفال بأولياء الله ، علينا أن ننظر وأن نبحث وأن نرجح .

واذا نظرنا الى نتيجة الموالد ، ألفيناها عظيمة جليلة . فالمراد بالحج مثلا هو تعظيم الاسلام فى نظر خصومه ، واجتماع المسلمين فى ساحة واحدة للطاعة والذكر والعبادة ، وهذه الحكمة موجودة فى الموالد بشكل مصغر

واذا كان من حكم الحج اجتماع المسلمين للتشاور فى أمورهم ، والتحدث فى مشاكلهم ، فان هذه الحكمة أيضا نجدها فى الموالد التى تضم الالوف وعشرات الالوف بل ومئاتها .

والذى يشاهد الموالد فى الارياف كما شاهدتها يقتنع بوجوب تكرير هذه الموالد ، والاكثار منها لأنها تحتوى على الفوائد والمنافع الآتية :

أولا : تعظيم الاسلام فى نظر غير المسلمين

ثانيا : هذه الموالد فرصة ضخمة لاطعام الفقراء والمساكين والبر بهم ، والتوسعة عليهم

ثالثا : يلتقى فى الموالد شباب هذه الامة بشيوخ الطريق فيستمعون اليهم ويتفهمون دعوتهم ويأخذون العهد عليهم للسلوك الطيب ، والعمل الصالح

واذا كان من حكمة الحج أيضا تعلم الجهلاء من العلماء فان هذه الليالى أيضا فرصة لتدارس القرآن الكريم ، والحديث الشريف وآداب التصوف وتعاليمه

السامية ، مما له أكبر الاثر فى اطفاء الجرائم والغرائز . اطفاء لايستطيعه القانون ولايقدر عليه ، لأن القانون لايرى ، وانما تقدم اليه الادلة ، أما أمر الشيوخ لمريديهم فانه يقوم على أن الله سبحانه يرى ويسمع ويعلم وماتسقط من ورقة فى ظلمات الليل الا يعلمها ، ويعلم خائنة الاعين ، وما تخفى الصدور

وكل هذا وأكثر منه يجعل من موالد الاولياء بدعة حسنة من سنها فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة .

● الدكتور محمد مصطفى حلمى :

كلام الدكتور محمد غلاب أثار أشياء ، وأعطانا صورة رائعة عن الموالد وأثرها الاجتماعى فى الافراد والجماعات ، والذى أريد أن أعقب به ، سؤال ثم أجاوب عليه

هل الاعتراض ، أو الهجوم على اقامة الموالد فى ذاتها ، أم على مايجرى فيها ؟..

اقامة الموالد فى ذاتها عمل مفيد ونافع خلقيا واجتماعيا ونفسيا ، أما ما اختلط بها من ضلالات ، وما سرى بين المقيمين لها من جهالات ، شاعت وذاعت حتى عم خطرها ، فذلك موضع الهجوم .. وأنا أول المهاجمين لها ..

● السيد محمد علوان :

ان ماشاب هذه الموالد من بعض البدع السيئة ، أو المنكرات ، أو الملاهى ، فهو دخيل على الموالد ، كما هو دخيل على رجال الطرق الصوفية ، ولقد كتبت بوصفى شيخا للمشايخ ، للسيد وزير الداخلية طالبا منه الضرب على أيدى العابثين بجلال هذه الموالد ، ومصادرة هذه البدع ، وتلك الملاهى ، ومنعها منعا باتا ، وقد استجابت وزارة الداخلية فكتبت الى المحافظات والمديريات فى كتاب دورى لمنع كل مايشين الموالد ، ومساعدة المشيخة العامة فى منع هذه البدع .

كما قررنا تأليف لجنة من السادة مشايخ الطرق ، ولجان فى الموالد لتطهير الجانب الصوفى من الادران التى ألصقت به ، ويسعدنى أن أعلن بكل فخر أن اللجنة التى ألفناها للاشراف على مولد الامام العارف بالله السيد احمد البدوى . والذى انتهى منذ بضعة أيام قد أدت واجبها على الوجه الاكمل ، وطهرت الحقل الصوفى ، ووجدت من رجال الطرق جميعا استجابة واعية ونجحت نجاحا كاملا رائعا فيما كلفت به

● الدكتور محمد مصطفى حلمى :

اذا صفيت الموالد من هذه الادران الدخيلة عليها فلا بدعة ولا هجوم على بدعة ، وانما هو عمل جليل مثمر نافع يؤيده كل مسلم ، كما يحرص عليه كل صوفى .

• الاستاذ عبد الله الشربينى :

البدعة كل ماينافى الشرع ، والصوفية هم أحرص الناس على الاقتداء الكامل بكتاب الله وسنة نبيه ، وكل مايشاهد أو كان يشاهد فى الموالد بما يتنافى مع الكتاب والسنة فلا شأن للتصوف به ، بل هو أشد الناس حربا له ونفورا منه

• السيد ميرغنى الادريسى :

أريد أن أوضح نقطة هامة ، وهى أن رجال الطرق الصوفية انما تنحصر مسئوليتهم فى الموالد فى الجانب الصوفى فقط ، والباقى تتولاه الدولة

والجانب الصوفى فى الموالد قد نهض به سماحة شيخ المشايخ ، فألف لجانا للاشراف عليه ومراقبته ،وقد قامت هذه اللجان بواجبها وحرص مشايخ الطرق جميعا على أن يكون أتباعهم نماذج صالحة فى أعمالهم واحتفالاتهم ، واستجاب مريدوهم لهم ، ومهمتنا الاولى هى الوعظ والارشاد . والباقى وهو منع البدع والمنكرات التى يقوم بها أفراد من الجمهور الذى لاينتسب للطرق الصوفية ، ولا سلطان لرجال الطرق عليهم ، ليس من مهمتنا . وانما هو أمر متروك للدولة بسلطاتها وقوانينها .

• الدكتور محمد يوسف موسى :

ان فى ندوتنا هذه علماء وفلاسفة وصوفية وأدباء والجميع مؤيد فكرة أن الموالد عمل صالح ، وسنة حسنة ، فمن يقول بعد ذلك ان الموالد بدعة ، وبدعة سيئة ، فانما هو جاهل ، أو صاحب هوى وغرض .

ولى تعقيب على الكلمة الطيبة التى افتتح بها سماحة السيد محمد علوان ندوتنا ، ان علماء الفقه الاسلامى لم يجمدوا ، ولم يقفوا بالفقه بل طوروه ومشوا به الى المشاكل التى لم تكن موجودة من قبل ، وبذلك أضافوا ثروة ضخمة .

ويكفى أن نقول اذا جد شىء لم يكن موجودا من قبل ، هل يعارض شيئا من الكتاب المحكم ، والسنة الصحيحة أم لا ، فاذا لم يكن ، فهو خير ولا يقال بدعة مطلقا .

واسأل نفسى . كى نحتفل بفلان ، كرجل خير وصلاح ، وتقوى ، فهذا احتفال واجب ، فيه ذكرى وعبرة ، انه عمل بيقين فيه خير كثير .

ولكن قبل أن نحتفل بفلان هذا يجب أن نعلم ، متى ولد ، وماذا عمل ، وما هى سيرته وأخلاقه ورسالته ؟

وبيننا مؤلفون وعلماء فلنجتهد أن نضع كتبا عن سير هؤلاء الأولياء ، لنعرف الناس بهم تعريفا صحيحا ، ولتكون حياتهم نماذج للحياة ، وليكون الاحتفال بهم عن علم وتقدير صحيح .

نريد أن يكون لنا عمل مبتكر جديد ، نريد كتبا وسيرا مبينة ، نريد أن نحتفل بالمعلوم لا بالمجهول ..

• سماحة السيد محمد محمود علوان :

الذى جرى عليه العرف أن الحكومة لا تصرح بعمل مولد الا بعد التحقق من سيرته ومن أعماله .

فاذا احتفلنا بولى ، فانما نحتفل بالعقيدة التى عمل لها ، وعلى هذا الضوء يحتفل رجال الطرق باحياء موالد الأولياء التقاة البررة ، احتفالا يليق بهم وبرسالتهم ، احتفالا دينيا فيه ذكر لله وطاعة مخلصة ، وفيه بر بالعباد ، وفيه توجيه وارشاد ، واحياء لمآثرهم وآدابهم وأخلاقهم ودعوتهم الروحية المثالية .

وفوق هذا فالموالد أسواق للتجارة ، وساحات لتعارف الناس ، ومواسم للخير والبر ، وابتهاج الناس وسرورهم .

والجندى المجهول الذى تكرم ذكره الحكومات انما تكرم فيه معنى نبيلا نعرفه جميعا . وان من أنبل الصفات الانسانية التى اتفقت عليها البشرية صفة الوفاء لذكرى العظماء والقادة والزعماء ، الذين كانت سيرتهم النبراس المضىء لشعوبهم وأممهم ، والعظمة الحقة الباقية الخالدة ، انما هى عظمة الايمان ، ودعوة الأخلاق ، ورسالة الروح .

• السيد محمد عيد الشافعى :

حينما اتسعت رقعة الاسلام وفتحت أبواب الدنيا على مصراعيها انشغل الكثير من المسلمين بدنياهم ، فأصبحت الأمة فى حاجة حقيقية الى العبرة والعظة ، والى العودة الى المثل العليا فى الاسلام .

ولقد تأمل المصلحون فى كتاب الله فاذا به ينطق بين أيديهم بقول الله عزل وجل : « لقد كان لكم فى قصصهم عبرة » . « نحن نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » فاستنوا هذه السنة وهى احياء ذكرى الأنبياء والأولياء ، مبينين للناس مآثرهم وما كانوا عليه من خلق وجهاد وفضل وطاعة وصبر وعزم حتى يجد الحاضر فى حياة من مضى من أهل الفضل عبرة ويكون له بهم أسوة ، فيطمئن قلبه ، ويثبت فؤاده ، ويزداد هديه .

ولقد كان أول المحتفلين بذكرى الرسول صلوات الله عليه من أهل الحكم الملك المظفر كما يحدثنا بذلك التاريخ ، ثم عمت بعد ذلك فى سائر الأقطار والبلدان .

فالموالد فى الحقيقة كانت ومازالت مواسم الخير فى الدنيا والآخرة ، وانما أقول ذلك لوجوه . الوجه الأول : اذا كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مع ما فيه من جد وتحمل وكمال فى الخلقة والخلق كان فى حاجة الى ترويح نفسه الكريمة ، الى ما يثبت به الحق فؤاده ، فما أحوج الناس مع اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وطبقاتهم الى العبرة والتأسى بمن سبق من أهل الخير حتى تطمئن قلوبهم ، ويعلموا ان الله تبارك وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، الثانى : ربط الحاضر بالماضى للمحافظة على هذا الفضل حفظا على كيان الأمة ، الثالث : الوفاء منا لأهل الخير ، واستنهاض الهمم للمسابقة الى فعل الخيرات ، الرابع : الحب منا لمن أحب الله تمسكا بأوثق عرى الايمان ، كما قال صلوات الله عليه : « أوثق عرى الايمان . الحب فى الله ، والبغض فى الله » . الخامس : ما اعتاده الناس فى هذه الليالى من البر بالفقراء والمساكين ، وقد امتدح الحق تبارك وتعالى قوما قال فيهم : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » السادس : ما اعتاده الناس فى هذه المواسم من ادخال السرور على الأبناء والأهل والعشيرة بتقديم الحلوى وغير ذلك ، والرسول عليه السلام يقول : « من أدخل على بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة » ، السابع : حصول الألفة والتعارف بين الناس ، الثامن : التعاون العام على البر والتقوى ، التاسع : انتعاش الحالة الاقتصادية فى المدينة أو القرية التى يقام فيها المولد .

فالموالد لهذا كله هى مواسم للخير فى الدين والدنيا ، وهى سنة حسنة استنها المصلحون العاملون .

أما أن يقول قائل انكم تقدسون الموتى ! .. وان فعلكم هذا بدعة فى الدين ، فهو مغالطة ومنافاة للواقع ، اذ أننا فى الحقيقة انما نجل من الولى الجانب الذى يحبه الله ويرضى عنه . ولأنه عبد من عباد الله اتقاه ودعا اليه .

• الأستاذ حسن علوان :

اننى أتفق مع الدكتور محمد موسى فى ضرورة التعريف بأهل الله ، لأن هذا التعريف لون من التمجيد ، وترسم الطريق ، واتباع السبل التى مكنت لهم فى قلوب الناس .

وأنا أرجو من مشيخة الطريق الصوفية أن تقوم بهذا وعلى رأسها الآن رجل قادر على التنفيذ ، وعلى عمل الخير .

والماضى دائما يلهم الحاضر ، ولقد حدثنا التاريخ ان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الخليفة الموفق المجتهد ، استن سنة تكريم الأبطال والمجاهدين ، بل وتكريم ذريتهم أيضا .

فقد جاءت الى عمر مغانم القادسية فأخذ فى تقسيمها بين الناس ، وشاهد امرأة من الرعيل الأول ، فأعطاها ، ثم أعطاها ، ثم أعطاها ، حتى استحت المرأة فانصرفت ، فقال عمر : لو ظلت لظللت أعطيها ، اكراما لزوجها ولأخيها ، فقد جاهدا واستشهدا فى سبيل الله .

فاجلال المجاهدين ، واكرام ذريتهم واجب دينى ، والاحتفال بهم أيضا واجب دينى .

ونأتى الى مسألة الموالد ، هل نحن نعيش فى الماضى ، أم الحاضر ، أم المستقبل ، أنا شخصيا أعيش فى الماضى ، أشاهد نفسى ، فى أصدقائى ، فى أحلامى ، فى ذكرياتى ، ان أجمل ما فى الحياة انما هى مذخورات فى نفس الانسان ، ادخرها من الماضى . فالنماذج الطيبة مثلا نأخذها من الماضى ، ونأخذ منه كذلك ، مثلنا وأهدافنا وعقائدنا .

فاذا رجعنا الى الموالد ، والى هؤلاء الذين يقولون انها بدعة ، والبدعة فى العرف الشىء السىء ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .. ولكن هناك أيضا البدعة الحسنة ، أو السنة الحسنة كالتسبيح بعد الآذان ، والأوراد وغير ذلك من الشعائر الصوفية .

فالحقيقة ان كلام المعترضين ، هو البدعة السيئة ، هو الضلال أو التضليل .

أنا أقول ان الله سبحانه لما شرع الحج . أؤكد لكم انه لون من ألوان الموالد ، ذكريات سيدنا ابراهيم ، وبناء البيت ، وهاجر وابنها ، انها ذكريات يعيش فيها الحاج معيشة روحية .

انه يصلى فى مقام ابراهيم ، وحجر اسماعيل ، انه استجرار لذكريات مجيدة وتصفية للنفس وتزكية ، ان الانسان لا يشهد الاحجار ، وانما يشهد الذكريات ، ان الانسان لا يملك دموعه فى مقام ابراهيم ، أو حين يطوف بالكعبة ، أو حجر اسماعيل ، لأن العقل الباطن يستعيد الذكريات الروحية الطيبة .

والموالد انما هى بعث لذكريات طيبة ، ذكرى انسان أطاع الله وهدى الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

أما ما يجرى فى الموالد من عبث ، فليس منا ولا نرضى عنه .. اننا وتدفعهم الى عمل الخير .

هذه الذكريات تجمع قلوب الناس على ماضيهم ، وتؤلف بين قلوبهم ، تحارب الشعوذة . وندعو الى الموالد . أنا أؤكد ان الذى يتحدث ضد الموالد انما هو أحد رجلين . رجل مقلد يريد أن يستنكر كل مقدسات الاسلام ، وما ورثه الانسان من مواريث طيبة ، أو رجل جاهل يهاجم الموالد بغير علم ولا دليل ..

يقولون أن الموالد بدعة من بدع الفاطميين ، انها ليست من بدع الفاطميين ، فعندما ذهب الفاطميون ، وجاء صلاح الدين الأيوبى ، ألغى مذهب الفاطميين ، وأعاد مذهب أهل السنة ، ويحدثنا صاحب وفيات الأعيان ، فيصف الموالد فى عهد صلاح الدين . فيذكر العجب ... لقد أخذت صورة من هذه الموالد ، ووضعتها تحت عنوان « الضمان الاجتماعى فى الاسلام » .

لقد كان صلاح الدين يعهد الى الولاة والقواد برعاية هذه الموالد ، ومن أعماله انه جعل من سنته فى ترقية الولاة ، مقدار ما أدوا من خدمات للناس فى الموالد . وقصة الملك المظفر تدل على ذلك .

هل فى عهد الرسول مثلا كانوا يلبسون بدلة . أو - بنطلون - ان كل جزئية اذا أردنا أن نحاكمها الى الدين . يكون تنطع وتحجر ، انما ننظر ، هل الأمر فيه ضرر أو منكر فاذا كان كذلك فهو غير صالح . فاذا انتفى الضرر والمنكر فهو عمل صالح بمقدار ما فيه من نفع للناس .

• **الأستاذ طه عبد الباقى سرور :**

يذكرنى هذا الحوار الذى يدور حول موالد الأولياء بحادث تاريخى ، فقد قدم من أهل الكوفة وفد الى عبد الله بن عباس ليستفتونه فى أمر قد شغلهم عن كل شئون حياتهم ، وصرفهم عن التفكير فى أمورهم لخطورته وجلاله ، قالوا : ياابن عباس ، أنت أهل العلم والفتيا ، فما حكم الاسلام فى دم البرغوث ، وهل هو طاهر . أم نجس ؟ وهل تجوز به الصلاة ، أم لا تجوز ؟ ..

وأطرق ابن عباس رضى الله عنه ، ثم رفع رأسه ليلقى عليهم الدرس الخالد ، قال : عجبا ياأهل الكوفة استحللتم دم ابن بنت رسول الله فسفكتموه !! .. ثم تسألون الآن عن دم البرغوث ؟! ..

وهؤلاء الذين يتصايحون حول الموالد ، ويتشدقون بكلمات البدعة

ويملأون الدنيا ضجيجا وبرقا حول التصوف وشعائره ، انما يتصايحون حول دم البرغوث .

يجب أن نأخذ ديننا بعزم وبقوة وبفهم لرسالته ، ماذا فعل المتصايحون بدم البرغوث للاسلام كدين رباني خالد شامل لكل ما في الحياة ، كدين أعطى للقلوب حياتها ، وللأرواح زادها ، وللانسانية مثلها وهداها ، كدين منح الانسان كل مقومات الوجود والبقاء ، والقوة والسيادة والنماء ، أعطاه التشريع المحكم الكامل للاقتصاد والاجتماع والمعاملات والحدود ، كما أعطاه الصور العالية للآداب والأخلاق ، ولصلة الفرد بالفرد ، وبالجماعة وبالدولة ، وبالانسانية ، وبالله فاطر السموات والأرض .

اننا نعرض عن جوهر ديننا ، وعن رسالة قرآننا ، وعن دعوة رسولنا ، ليأخذ بعضنا بأعناق بعض ، ولنتجادل كما تجادل أهل بيزنطة ، ولنسأل كما سأل أهل الكوفة !! ..

أين الفضائل النفسية في الاسلام ، أين الفضائل الخلقية في القرآن ، أين الصدق والأمانة ، والصبر والبر ، أين الجهر بكلمة الحق ، أين الوفاء والحياء والكرامة والعزة ، أين التعاطف والتراحم والتآزر أين التعاون على البر والتقوى ، أين الجهاد والفداء والاستشهاد ، بل أين الكتاب والسنة ؟ . .

فليواصل المؤمنون بربهم رسالتهم ، وليعلموا الصالحات وليملأوا الدنيا احتفالات بالصالحين المؤمنين . معرضين في عفو وتسامح عن الذين لا يرجون لله وقارا ..

الخلاصة

الاحتفال بموالد الأولياء ، سنة حسنة وعمل صالح نافع للأمة في دينها ودنياها . انه احياء لأمجاد أخلاقية ، وبطولات اسلامية ، ومثل روحية ، تلهم الأمة الأسوة الطيبة ، وتهديها صراطا مستقيما .

وان ما شاب هذه الموالد من بدعة أو منكر ، فهو أمر يبرأ منه التصوف والدين والخلق الكريم . وان العهد الجديد يعمل جاهدا ليرتفع بالاحتفال بالموالد الى المستوى اللائق بشرفها وجلالها .

الندوة القادمة

انتهت الندوة في تمام الساعة العاشرة مساء على أن تعقد الندوة القادمة في الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر عام ١٩٥٨ .

***

الرئيس جمال عبد الناصر ، والأمير عبد الله الجابر الصباح ، والأمير سعد الصباح والاساتذة : أنور السادات ، وعبدالعزيز حسين مدير معارف الكويت ، وعبد اللطيف شملان المشرف العام لادارة البعثات ، واحمد ابراهيم صاحب مكتبة نهضة مصر .

سماحة السيد محمد محمود علوان وهو يلقى قصة المولد النبوى فى سرادق المشيخة بحديقة الحرية فى الليلة الختامية لاحتفالات المولد النبوى الشريف ..

نظرات بين العلم والدين

الاستسقاء والمطر الصناعى

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة

أهم العناصر الجوية ذات التأثير المباشر على حياة الانسان ، وأكثرها اثارة لانتباهه بعد درجة الحرارة هى المطر ، ولقد كانت مسألة استمطار السحاب فى الأماكن التى يشح فيها المطر ، أو وقف نزول الأمطار فى مناطق من أهم المسائل التى حاول الانسان معالجتها منذ القدم .

واذا شحت كمية المطر عن معدلها فى اقليم ما أجدبت الأراضى وأقحلت المراعى ونفقت الماشية ، وقد لا ينصلح حال الاقليم الا بعد سنوات عديدة .. وفى كوينز لاند باستراليا مثلا يهلك أكثر من ثلاثة ملايين رأس من الغنم فى كل سنة تقل فيها كمية المطر بشكل ظاهر ، مما جعل مجلس بحوثهم الأهلى يجرى تجارب المطر الصناعى . وفى صحراء مصر التى يرتادها الاعراب تبور الأرض ويعم القحط اذا قل المطر عن معدله (٢٠٠ ملليمتر على الساحل الاسكندرى فى العام تقريبا) أو تأخر عن موسمه .

ومهما يكن من شىء فان أعمال الرى والرعى ، سواء كانت باستخدام المطر مباشرة أو بالأنهر والترع والقنوات ، تتوقف على ما تجود به السماء من مطر كل عام . ومنذ القدم عرف الانسان البدائى قيمة المطر لحياته وحياة ماشيته ، فكان ولا يزال ينشده بمختلف الوسائل والسبل الدينية والعلمية . وفى كثير من الشعوب المتحضرة تستخدم الصلاة ، ومنها صلاة الاستسقاء ، لتجود السماء بالماء . فقد حدث فى اتحاد جنوب أفريقيا قبل الحرب الأخيرة مثلا أن صرح الجنرال سمطس المعروف تصريحا عده الشعب منافيا للدين ، وأعقب ذلك جفاف ظاهر فى البلاد ، فأقام الحزب المعارض دعايته ضد سمطس وحزبه على أن ما قاله أغضب الله تعالى ، فلما جرت الانتخابات ونجح رئيس المعارضة بفضل دعايته هذه كان أول عمل قام به أن دعا قومه لتخصيص يوم يدعون الله فيه لانزال الغيث ، ولقد حدث أن فتحت أبواب السماء بوابل من المطر بعد ثلاثة أيام من اقامة الصلاة .

ولقد ثبت الاستسقاء بالكتاب والسنة ، قال تعالى :

« **استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا .** »

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستسقى فيدع الله تعالى ومن دعائه : (اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم ان بالعباد والبلاد من

الجهد والجوع والضنك ما لا نشكو الا اليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وانزل علينا من بركات السماء ، وأنبت لنا من بركات الأرض واكشف لنا ما لا يكشفه غيرك ٠٠ اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا ٠٠ فارسل السماء علينا مدرارا ٠٠ »

والتاريخ الاسلامى يحدثنا كثيرا عن حالات متعددة لجأ فيها المسلمون الى ربهم فجادت عليهم السماء بماء منهمر أحيا الأرض بعد موتها ٠٠ وهكذا عالجت أو تعالج الشعوب على اختلاف ما بينها من نزعات فكرية وثقافات علمية جفاف البلاد ، ولكن لأهل العلم الطبيعى مذهبا غير تلك المذاهب ، ورأيا نود أن نكشف عنه عملا بقوله تعالى : « **ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ٠٠ » فالسحاب هو الجسم الذى سخر ليعطى المطر ، والأصل فى السحاب تكاثف أبخرة المياه العالقة فى الهواء ، أى تجمعها على هيئة نقط من الماء أو من بلورات الثلج ، ومن السحاب ما هو مختلف لونه وتركيبه ٠٠ ومنه الطباقى : أى الذى ينتشر فى طبقات مسطحة ، ومنه الركامى : وهو القابل للنمو والامتداد رأسيا الى السماء ، ومنه الممطر والقابل للأمطار ٠ وغير ممطر ٠ وأهم مصادر بخار الماء فى الجو هو المحيطات والبحار ، فان الاشعاع الشمسى الذى يصل الى سطح الأرض « الماء » يرد منه الى الفضاء نحو ٨٪ بواسطة الانعكاس ، ويمتص منه نحو ٦٠٪ حيث يتحول هذا الجزء الممتص الى طاقة حرارية ترفع من درجة حرارة المياه والمحيطات ، بينما تستخدم الطاقة الباقية من الاشعاع النفسى وقدرها نحو ٣٢٪ فى عمليات البخر ، أى فى تحويل بعض الماء الى بخار ينتشر على هيئة غاز فى الطبقات السفلى من الغلاف الجوى ٠ ويبلغ متوسط ما يتبخر من كل سنتيمتر مربع من سطح الأرض نحو ٣ ملليمتر فى اليوم ، فاذا اعتبرنا مساحة سطح الأرض ٥ مليون مليون مليون سنتيمتر مربع فان متوسط ما يتبخر يعادل نحو ألف مليون مليون كيلو جرام من الماء فى اليوم الواحد ٠

وبديهى ان نفس هذا المقدار من بخار الماء يجب فى المتوسط أن يتكاثف يوميا ويسقط على هيئة مطر يعود أغلب مائه الى البحر مرة أخرى ليبدأ الدورة من جديد ، والا لامتلأ جو الأرض بأبخرة المياه ، ولكن الذى يحدث فعلا ان عمليات التكاثف فى الجو ليست فى درجة انتظام عمليات البخر ، فقد يحدث التكاثف وينشط فجأة فى صعيد واحد تتراكم فيه السحب وتنمو الى عنان السماء فينهمر المطر بغزارة محدثا الفيضانات المعروفة ، بينما تبقى أمكنة أخرى من الأرض جافة شمسها ساطعة ، أو قد تمر السحب الممطرة على مساحات واسعة من اليابس دون أن تجود عليها بالماء ، ثم تنطلق الى مكان تتجمع فيه وتمطره وابلا ٠ ولعل الفكرة الاولى عن المطر

الصناعى هو عصر مثل تلك السحب العابرة ، أى امطارها بطرق من صنع الانسان ٠

وهناك فروق بين الهواء الجاف والهواء الرطب ، كما ان للرطوبة الجويه درجات ، والمقصود بدرجة الرطوبة الجوية هو مقدارها على مقياس خاص معلوم ٠ وأكثر مقاييس الرطوبة شيوعا هو مقياس الرطوبة النسبية ، وهو يعطى مقدار بخار الماء العالق فى الهواء بالنسبة الى ما يكفى من البخار لتشبع هذا الهواء فى نفس درجة الحرارة ٠ ولما كان بخار الماء أقل وزنا من الهواء الذى يخالطه ، اذ تبلغ كثافته ٥/٨ كثافة الهواء الجاف المخالط له فانه يستطيع أن ينتشر فى الجو على هيئة غاز له ضغطه الخاص به ، شأنه فى ذلك شأن الغازات اذا ما اختلط بعضها ببعض ٠ ولكل درجة حرارة حد أعلى لضغط بخار الماء هذا يعرف باسم « ضغط التشبع » ، فاذا عرضنا سطحا من الماء مثلا للهواء تحت درجة حرارة خاصة فان عملية البخر تستمر باضافة كميات من الماء الى الهواء على هيئة بخار ، ولا تقف هذه العملية ظاهريا حتى يحدث التشبع ، أى حتى يصبح الهواء غير قابل لحمل مقادير زائدة من الأبخرة ، وبذلك تصل الى ضغط التشبع فى هذه الحالة٠ ولقد وجد ان ضغوط التشبع عندما يكون السطح المعرض من الماء السائل تختلف عن نظائرها عندما يكون السطح المعرض من الجليد (أى الماء المتجمد) وسنرى ان هذه الحقيقة تلعب أهم الأدوار فى نزول المطر ٠

ولا يقتصر البخر من البحر الى الهواء على طبقات الجو السفلى الا فى ظروف خاصة ، فكثيرا ما ينتشر بخار الماء خلال طبقات سميكة من الهواء قد تصل الى ارتفاع عشرة كيلومترات ٠ وذلك بفعل تيارات الحمل ٠ وبديهى ان الاجواء الجديرة بالعصر هى تلك التى تشبه فيها طبقات سميكة من الهواء بأبخرة الماء ٠

وينتشر بخار الماء خلال طبقات سميكة من الجو اذا كان الهواء السائد باردا بالنسبة لسطح البحر ، ذلك لأن الهواء البارد لا يسلب البحر بعض مائه فحسب بل يسلبه أيضا جزءا من حرارته ، وذلك بفعل التوصيل الحرارى والحمل الحرارى ٠ وبفعل هذين العاملين ، عامل البخر وعامل التسخين فى طبقات الجو السفلى تقل كثافة هذه الطبقات ولا تقوى على حمل ما يعلوها من كتل الهواء البارد ، فلا تلبث أن تصعد ليحل محلها هواء علوى جاف ثقيل ، لا يكاد كسابقه يتشبع بالبخار ويسخن حتى يصعد بدوره ، وهكذا تستمر عملية نزح مياه البحر على هذا النحو بمرور تيارات الهواء البارد فوق سطحه ٠ وهذا عين ما يحدث على شرق البحر المتوسط فى فصل الشتاء عندما تغزوه كتل الهواء البارد المندفع من شرق أوروبا الى مصر ٠

ويحدث عكس ذلك فى مصر أثناء الصيف ، اذ يكون ماء البحر المتوسط أبرد من الهواء السائد ، فينحصر البخر على طبقات الجو السفلى التى تنخفض

درجة حرارتها قليلا بملامستها سطح المـــاء البارد نسبيا فتزداد كثافتها وتستقر ولا تصعد الى أعلى · وبذلك يحدث التشبع وتزداد رطوبة الجـو السفلى الذى نعيش فيه بشكل ظاهر · وهذا عين مانشاهده فى الاسكندرية مثلا خلال شهرى يوليو وأغسطس حيث نشعر بوطأة رطوبة الهواء الجوى الى ارتفا ع نحو ٣٠٠ متر فقط · ومثل هذه الحالات تكون فيها طبقات الجو العليا جافة فلا تصلح للعصر أو تجارب المطر الصناعى حتى ولو ظهر بعض سحب الصباح المنخفضة التى تتكون خلال الطبقة المشبعة فقط ·

ولما كانت السحب الممطرة ، أو القابلة للامطار ، ما هى الا كتل من الهواء الجوى المشبع بالابخرة والمحمل بجاميع هائلة من نقط الماء وبلورات الثلج المختلفة الحجم والصفات ، لزم أن نعرف شيئا عن التكاثف الى سحب ، أو تحول بخار الماء الى تلك المكونات ثم نمو المكونات بعـــد تكوينها وازدياد حجومها حتى لا يقوى الهواء على حملها وتسقط من السحاب على هيئة مطر أو ثلج أو برد ·· الخ · ·

اذن بقى أن نعرف كيف ومتى ينزل المطر ، ولذلك يجب أن نضيف الى معرفتنا قاعدتين من قواعد الطبيعة التجريبية ، أما القاعدة الأولى فمجملها ان النقط فوق المبردة ضعيفة الاستقرار وهى فى حالة السيولة ، بمعنى انها قابلة للتجمد كلها أو بعضها حسب درجة حرارتهـــا ، وذلك بمجرد ملامستها لجسم صلب · وعلى ذلك فانه عندما تتلاقى بلورات الثلج الهابط من أعلى السحاب على النحو الآنف الذكر بنقط الماء فوق المبرد فى المناطق الوسطى تتحول أغلب مكونات هـــذه المناطق من النقط فوق المبردة الى بلورات من الثلج أو الى كرات من الجليد الهش غير الشفاف بفعل احتباس فقاعات من الهواء أثناء التجمد السريع · أما القاعدة الثانية فهى ان ضغوط التشبع بالنسبة لبلورات الثلج أصـــغر من مثيلاتها بالنسبة للماء فوق المبرد الذى فى نفس درجة الحرارة ·

والمقصود من المطر الصناعى ، أو عصر السحب الممطرة ، هو توليـــد حالات من فوق التشبع بها بطرق صناعية ، من هذه الطرق قذف بلورات من الثلج الجاف مباشرة بواسطة الطائرات أعلى السحب الركامية ، لا تلبث أن تهبط الى المناطق الوسطى لتبدأ قصة سقوط المطر الصناعى على غرار سقوط المطر الطبيعى السالف الذكر ·

ومن هذه الطرق أيضا قذف مسحوق يودور الفضـــة بدلا من بلورات الثلج ، وذلك اما مع التيارات الهوائية الصاعدة التى تكون السحاب ، أو من الطائرات ، وذلك بأجهزة خاصة · وفائدة هذا الملح احداث حالات من فوق التشبع على غرار بلورات الثلج ·

واذن ، فالمطر يهبط بالدعاء وبالطاعة ، كما يهبط بالعلم والمعرفة ، وتلك من الآيات على ما بين العلم والدين من صلات ·

الدين وأثره فى اصلاح المجتمع

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

تمهيد

١ ــ هل الانسان متدين بفطرته ؟

٢ ــ هل الشعوب التى لم يرسل الله اليها أنبياء فكرت من نفسها فى وجود الله ؟

٣ ــ لماذا لم يذر الله الناس على دياناتهم الوضعية التى ابتدعوها ؟

٤ ــ هل للدين أثر فى اسعاد الانسان وهنائه ؟

لنفرض أنفسنا فى قارة من القارات التى لم تسمع للدين بخبر ، ولم تقف له على أثر ، أو سمعت عنه فى زمن مضى ثم نسيته تماما كأوروبا أو كمصر قبل أن نزوح النبيين الجليلين : يوسف وموسى عليهما السلام الى أرضها ، ولنتحدث اليك عن هذا الصنف من البشر ، واليك البيان :

رأى الناس فى سذاجة وبساطة أن فريقا ممن حولهم يصح ، وآخر يمرض وثالثا يقوى ، ورابعا يضعف ، وخامسا يغتنى ، وسادسا يفتقر ، وسابعا يولد ، وثامنا يموت ، فحاولوا أن يعللوا هذه الظواهر المختلفة أو يردوها الى أسباب معقولة ، وعلل مقنعة ، ولكنهم وقفوا حائرين عاجزين عن تعليل أية ظاهرة من ظواهر هذا الكون الهائلة المرعبة . وسرعان ما اندفع الى قلوبهم الطاهرة ، ثم الى عقولهم الساذجة ايمان وثيق بأن هناك يدا خفية تحرك هذا الكون حسب مشيئتها ووفق ارادتها ، وأن صاحب هذه اليد لابد أن يكون مقيما فى هذه القبة الزرقاء عند بعض الشعوب ، والقاتمة أو الرمادية عند البعض الآخر ، والتى يبرز من أفقها كوكب الشمس المضىء حينا ، والقمر المنير والنجوم اللامعة حينا آخر ، والتى تغضب أو يغضب ساكنها قليلا فى مصر مثلا ، وكثيرا فى أوروبا ، فتبرق وترعد ، وتنذر وتتوعد ، وترسل من الصواعق نارا ، ومن وابل الجبل مدرارا . غير أنهم لأمر ما قد تصوروا أن هذا المحرك الاكبر لابد أن تكون له ممثلون على الارض ، وأنهم اذا أرادوا أن يجلبوا رضى هذا الاله أو يدفعوا سخطه ، فلابد لهم من أن يفتشوا عن هؤلاء الممثلين جهد طاقتهم حتى اذا عثروا عليهم ، قدموا لهم الضحايا والقرابين وقاموا بين أيديهم بقسط ممكن من الاحترام والاجلال ثم أخذ كل شعب يبحث عن هؤلاء الممثلين الذين يقربونه الى الله زلفى . ولكن هذا البحث لم يهد أصحابه الى نتيجة واحدة ، وهذا أمر طبيعى ما دام أن هؤلاء الشعوب يختلفون فى

طالعهم وأجوائهم ، ومواقع بلادهم الجغرافية التى لها على الثقافة والتفكير أثر عظيم فاقتنع المصريون مثلا بأن ممثل المحرك الاعظم لهذه الكائنات هو كوكب الشمس لما رأوه فيه من فائدة ونفع للانسان والحيوان والنبات ، وما تصوروه عليه من بطش بجيوش الظلام الشريرة السوداء التى لاتسيطر على العالم الا حين ينام هذا المحرك الجليل فاذا استيقظ من نومه وصرخ فيها صرخة مدوية ، تفرقت شذر مذر ، ومزقت كتائبها كل ممزق ، وفرت الى أعمق طبقات الجحيم حيث تقضى هناك طيلة النهار . أما هو ، فانه يختال فى السماء معجبا بذاته فى دل وتيه ، متباهيا بما سكبه على الكون من عناصر الحياة والضوء والانتعاش .

ولما كانت الشمس هى أكبر الظواهر الطبيعية فى مصر ، فقد أسندوا قيادتها الى « رع » كبير آلهة المصريين فى أيام التعبد كما أن الهيليين قد أسندوا الى « زوس » كبير آلهتهم قيادة الرعد والبرق والمطر ، لأن هذه الاشياء هى أكبر الظواهر الطبيعية فى جو أوروبا الممتلىء بالسحب والغيوم .

ولقد رأى المجوس أن النار هى وحدها الجديرة بتمثيل الكائن الأول لما فيها من نعمة الانضاج وقوة الاحراق .

وآمن غير هؤلاء بأن الممثل الأعلى هو فيل أو بقرة أو غير ذلك . فمجد كل شعب لما اعتقد أنه الممثل الأكبر لهذا الموجد العظيم .

وكما اختلفت هذه الشعوب فى تصور ممثلى المحرك الأعظم ، اختلفت أيضا فى تصور الروح والخلود والعقاب والثواب فى الحياة الاخرى .. ونشأ من هذا الاختلاف تباين عظيم فى الطقوس الدينية ، وفيما ينبغى أن يصنع بالجسم بعد الموت ، لتخلد الروح فى النعيم المقيم . ولا ريب أن هذا الاختلاف أو ذلك التناقض هو أول الحكم التى من أجلها جاءت الديانات السماوية لتقضى على هذه الفوضى وذلك الاضطراب الناشئين من تناقض تلك الشعوب فى العقائد والطقوس ، ذلك التناقض الخاضع للبيئات والاجواء والمواقع الجغرافية ، ولأهواء الزعماء الدينيين الذين نشأوا فى الشعوب القديمة فأسرو الناس بلباقتهم وبلاغتهم وأخضعوهم ببيانهم لما زعموا أنه الحق المبين ، والنهج القويم ، فرأى مبدع الكون أن يضع حدا لهذه الهمجية ، فأعلن على ألسنة أنبيائه أن الشعوب لا تملك أن تضع قوانين هذه الديانات وأنه لا يمكن أن يكون لهذه العقائد الامصدر واحد وهو السماء .

وهنا حدثت الانقلابات الهائلة التى لا يتسع المقام الآن لذكرها . ولقد بدأ مبدع الكون باليهودية ثم ثنى بالمسيحية ، ثم اختتمها بالاسلام لحكمة واضحة لا يستعصى فهمها على من درس تاريخ الديانات ، وأحاط علما بعقليات وأخلاق وطباع البيئات التى نشأت فيها هذه الديانات الثلاث ،

ودرس فى تمعن واتقان كيف تدرجت تشريعاتها ، وترقت نواميسها حسب تدرج العصور ، وترقى العقلية الانسانية .

ومهما تكن الديانات الوثنية مشحونة بالأخطاء والضلالات ، مفعمة بالأكاذيب والأباطيل ، فان النزاهة تحتم علينا أن نعلن فى صراحة أن هذه الديانات قد خففت من الجرائم ، وقللت من الشرور والآثام ،وكسرت - ولو بعض الشيء - من حدة الشهوات الانسانية . ولو لم يشأ الله لتلك الديانات الوثنية أن تأخذ مكانها تحت الشمس لكانت الجرائم والشرور أضعاف ما هى عليه ، ولقاسى الأنبياء عليهم السلام فى افهام البشر أساليب التدين والاذعان أضعاف ما قاسوا بعد أن مهدت لهم تلك الديانات سبل القيام بمهمتهم على الوجه الأكمل المراد .

هناك فضل آخر يجب أن نعترف به للديانات الوضعية ، وهو اسعاد البشر وهناؤهم بسبب ذلك الأمل الذى أرسخته فى نفوسهم - ولو عن طريق الخيال - بأنهم سيتمتعون فى عالم الخلود بنعيم لا ينتهى ولا يبيد ، فملأ هذا الامل حياة الانسانية سرورا وغبطة ، وأحال العذاب والشقاء فى نظر المعذبين والأشقياء الى سعادة نفسية لذيذة ما دام سيعقبها تنعم دائم وسرور خالد .

وبعد هذا فليس للديانات الوثنية أثر يذكر الا من الناحية التاريخية حيث تضع بين أيدينا نماذج من عقليات القدماء وصورا من تفكيراتهم وادراكاتهم ، وتبين لنا ما بين الديانات السماوية وبين هذه الديانات من فروق ودرجات .

الآن وبعد أن أبنا مقدار تأثير الديانات الوضعية على الامم القديمة ، فقد وجب علينا أن نبين أثر الديانات السماوية فى الامم التى اعتنقتها واليك هذا الاثر :

نحن نعلم جميعا أن أسس الأخلاق الدينية مرتكزة على الوحى الالهى الى الانبياء عليهم السلام ، ونعلم أن الله أوحى اليهم أنه سبحانه أصل الخيرات والمعارف ، وأنبأهم بالعنصر الذى خلقهم منه ، وبطبيعتهم التى كانوا يجهلونها ، وبمصيرهم العام ، وبواجبهم الذى لا ينبغى أن يحيدوا عنه قيد أنملة لو أنهم ساروا على النسق الذى يحبه لهم ، وأوحى اليهم كذلك أن عقل الانسان ضعيف ومحدود ، وأنه فى حاجة الى المرشد الأعلى ليهديه الى سواء السبيل ، وأن مصلحته الخاصة تقضى عليه بأن يطيع ربه مقتنعا بأنه تعالى لا يأمر الا بالخير ، ولا يحض الا على الفضيلة ، وأن هذه الحياة الدنيا ليست الا قنطرة يعبر عليها الانسان الى الحياة الخالدة ، وان حظه لا ينتهى عند هذا الاجل الدنيوى القصير ، بل سيتصل بما قدر له فى العالم الآخر الذى سيلاقى فيه جزاء عمله ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

وتمتاز الأخلاق الدينية بأنها مؤسسة على حب الله واطاعة كل أوامره،

ثم على حب المؤمنين الى حد تسويتهم بالنفس : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ولا ريب انه اذا أحب الانسان خالقه وأطاع أوامره ، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فقد وصل الى أرقى درجات الكمال .

هناك فضل آخر قد سكبه نور الأخلاق الدينية على بنى الانسان ، وهو انه ربط وجداناتهم وضمائرهم بالعروة الوثقى التى لا تنفصم ولا تنحل ، وهى عروة الايمان .

أما من الناحية العلمية البحتة فان الحقيقة الدينية هى وحدها الحقيقة العليا أو المطلقة ، وان ما عداها حقائق نسبية تتصل بتلك الحقيقة الابدية من قريب أو من بعيد .

وأما أولئك الذين يزعمون بأن الدين والعلم متعاديان ، فهم واهمون أو سطحيون ، لأن العقل - وهو الموئل الأعلى للعلم - لم يخرج عن كونه هبة من صاحب الدين . واذن ، فينبغى أن يمتزج الدين بكل أفكار الانسان وأعماله فى هذه الحياة ، لأن موضوع الاخلاق هو دراسة صلات بنى الانسان بعضهم ببعض . ولا يمكن أن ينظم هذه الصلات تنظيما محكما غير البارىء الأعلى فى قانونه الخالد ، وهو الدين . لأن واجب الانسان نحو أسرته ومواطنيه ونحو أفراد الانسانية جميعا ينبجس من منبع واحد ، وهو واجب الانسان نحو ربه : « من اتقى الله اتقى الناس » .

والواقع المحسوس الذى نشاهده كل آن فى الحياة العملية هو أن الانسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية ، وأنه فى أشد الحاجة الى معونة صوت الايمان ليقوده فى هذه الظلمة المخيفة التى تحوطه من كل جانب ، وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه ، اذ منذا الذى يستطيع أن يقود الوجدان البشرى الا تلك القوة العليا التى تحيط بكل شىء ، وتستطيع كل شىء ثم أى جزاء هو أكثر هبة فى نظر الروح الخالدة من جزاء الله الأبدى الذى سيلتقى بها فى حياة طويلة لا يدرى مداها ، ولا يعرف منتهاها وأى عزاء يسلى أحزان الحياة وآلامها أعلى من التفكير فى عدالة الله تعالى التى ستوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

هذا كله بالنسبة الى أثر الدين على الفرد ، وأما أثره على الجماعات ، فهو لا يقل أهمية عما تقدم ، اذ منذا الذى يستطيع أن يفهمنا احترام الانظمة المقررة ومعنى الفضيلة العائلية والاذعان للسلطات الشرعية ويعودنا على الصبر واحتمال الآلام وتخفيف وقع منظر الفروق الهائلة بين شقائنا وسعادة غيرنا على نفوسنا أكثر من الدين ؟

وفى الحق أن حكومة تشعر بأن عليها واجبا تؤديه لأفراد الشعب لا تستطيع أن تؤسس تعاليمها الاخلاقية منفصلة عن الدين ، بل يجب عليها أن تشركه على الاقل فى تأسيس هذه الاخلاق ان لم تعتمد عليه

اعتمادا كليا ، وأن تفسح له مكانا عظيما فى مدارسها ومعاهدها ومنتدياتها ليستطيع أن يؤدى مهمته فى تهذيب النفوس كما ينبغى ، لاننا جميعا نعمل على صيانة القوانين الوضعية ، ونسهر على احترامها وحفظها من عبث العابثين ، بل انها تصل من نفوسنا أحيانا الى مرتبة الاجلال والتقديس ، فاذا دوت فى المكان هذه الجملة : « باسم القانون أعمل كذا » عند ذلك تخفق القلوب ، وتهلع النفوس ، وتنحنى الرؤوس ، وتسود المجلس الرهبة ويخيم عليه السكون .

ولا ريب أننا لم نخلع على القانون هذه القداسة الا لأنه يقر الأمن ، ويصون الحقوق ، وينشر السلام والاطمئنان . ولكن من يدقق النظر فى أحوال الامم وظواهرها الاجتماعية ، وخصائصها النفسية يتضح له تمام الاتضاح أن الممتنعين عن الجرائم منهم عشرة فى المائة متأثرون بالاخلاق فى ذاتها ، وعشرون يخشون القانون ، وسبعون يتجنبون الرذائل اتقاء الله وخوفا من عقابه الذى هم موقنون بأنه أشد وأقسى وأطول مدى من عقوبات القوانين الوضعية . فاذا كان الدين قد نال من النفوس البشرية هذا المنال الذى لم يفز القانون بنصفه ولا بثلثه ، فيجب علينا كوطنيين مخلصين لبلادنا ، راغبين فى صلاح أحوالها الاجتماعية أن ننمى فى نفوس الجماهير هذه العقيدة النبيلة ما دام لها على أخلاقهم هذا الأثر الجليل .

محمد غلاب

الفيوضات الربانية
فى شرح الحكم العطائية

للأستاذ السيد محمد عيد الشافعى

يصدر قريبا كتاب « الفيوضات الربانية فى شرح الحكم العطائية » بتأييد وتشجيع من مشيخة الطرق الصوفية .

كتاب يجب أن يقرأه كل صوفى .

السيد البدوي
حارب الفرنسيين

للدكتور أحمد عبد المنعم البهى

الاستاذ بكلية الشريعة

لا اخالك تجهل عظمة الاحتفال بالمولد الكبير للسيد أحمد البدوى فى مدينة طنطا فالناس يرقبون قدومه ، ويتلهفون عليه كما يرقبون مقدم عزيز عليهم طالت غيبته .

ولا أعد الحقيقة فى شىء اذا قلت ان الذين يساهمون فى احياء هذا المولد كل عام لا يقل عددهم عن مليونى شخص . يملأون طنطا وضواحيها ويقيمون المخيمات على مشارفها ومسالك الطرق المؤدية اليها ينحرون الذبائح ، ويطعمون الطعام ويقيمون حلقات الذكر ، ويرددون الاناشيد فى مدحه ومناقبه، وتقضى طنطا أيام المولد ليلها ونهارها فى ابتهاجات لا تنقطع وصفاء روحى دائم مما يتجلى فى سيل الوفود التى تتزاحم لزيارة ضريح السيد البدوى وهم بين مهلل ومكبر ومنشد ، وبين مأخوذ بأفضال السيد البدوى ، وبين مجدد للعهد فى أن يقتفى سيرة هذا الولى الصالح ، وينهج على طريقته فى الزهد والورع عسى أن يصل الى طريق الصالحين .

حياة حافلة

والسيد البدوى الذى احتفلنا بمولده الكبير هذا العام خلال الشهر المنصرم قطب من الاقطاب المعدودين ، وامام من أئمة التصوف الواصلين. كانت حياته مثلا أعلى فى الزهد والورع ، والتقوى والصلاح ، والاخلاص لله حتى نعم بالفتوح الربانى والفيض الالهى ، وتلك منزلة ليس باليسير الوصول اليها ، ولا الارتقاء الى مكانها وانما هى نفحة الهية يخص بها المخلصين من عباده . المتطلعين الى وجهه الكريم ، المتفانين فى حبه وعبادته والذين طلقوا الدنيا بمباهجها وزخرفها ، ونحوها عنهم ، وجعلوا بينهم وبينها سدا منيعا .

وحياة السيد البدوى حياة حافلة بالمواعظ وجهاد النفس وترويضها على التفانى فى سبيل الله . فمنذ صغره وهو يركب الصعاب والمخاطر لا يروم الا وجه الله الكريم من وراء ذلك .

وحسبك أن تعلم أنه شب فوجد الحكام يضطهدون ذرية الامام على الذى هو واحد منهم . فالامويون اضطهدوا آباءه وأجداده وشتتوهم كما شتتوا سائر أفراد البيت العلوى فآثروا الرحلة الى بلاد أخرى ينشدون الامن فيها بعيدا عن عنت الامويين واضطهادهم واختار أجداده المغرب مقرا لهم ، فلما ظهرت دولة الموحدين فى المغرب وقامت بينها وبين دولة المرابطين، حروب وخصومات اضطر معها على بن ابراهيم والد السيد البدوى أن يرحل بأفراد أسرته الى أرض الحجاز طلبا للامن وبعدا عن اضطهاد الموحدين وكان ذلك فى سنة ٦٠٣ هـ ، وفى هذه الاثناء كان السيد البدوى فى السابعة من عمره واحتمل مع أسرته مشاق الرحلة التى استمرت أربع سنوات مرت أثناءها بمصر واستقرت بها عامين تقريبا وألقت ترحالها فى مكة المكرمة حيث أقامت بها واتخذتها موطنا لها بعد أن أدت فريضة الحج .

وفى مكة أتم السيد البدوى حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه على مذهب الامام مالك فى بادىء الامر ثم أتم دراسته فيه على مذهب الامام الشافعى حتى أصبح علما من أعلام الفقه .

ومال الى الزهد والتصوف منذ صغره . وكلما شب وترعرع نما معه ميله الى التصوف وزاد زهده .

وقد راق للسيد البدوى أن يرحل الى العراق ليشبع نهمه فى العلم ويتصل بكبار رجال التصوف فيه . فبدأ رحلته فى المحرم سنة ٦٣٤ هـ ووصل الى بغداد بعد شهرين من بدء رحلته فى عهد الخليفة العباس المستنصر بالله . غير أن رحلته الى العراق لم تدم أكثر من عام اتصل بعلماء العراق ووقف على ما عندهم وعرف تعاليم القطبين أحمد الرفاعى وعبد القادر الجيلانى اللذين كانت لهما زعامة التصوف فى العراق وعاد الى الحجاز مرة أخرى فأقام بها ما يقرب من ثلاثة أعوام ولكنه كان فى ذلك كله شغوفا بالرحيل الى مصر التى شاهدها فى صباه ليقيم بها ويقضى بقية أيامه فيها .

محاربته لفرنسا

وفى سنة ٦٣٧ هـ الموافقة لسنة ١٢٤٠ كان السيد البدوى قد وصل فعلا الى مصر واتخذ من طنطا (طنتدا) موطنا له ينشر العلم وفقه الشافعى فيها ويرفع لواء الصوفية والتقرب الى الله بين تلامذته ومريديه وأتباعه فيها .

وما كاد السيد البدوى يستقر بطنطا حتى كان صيته قد ذاع وملأ الآفاق وأقبل الناس عليه وعلى تعاليمه من كل صوب وحدب يتسابقون الى الاغتراف من بحره والانتفاع بفضله . وظل كذلك يسابق الايام ذكره

ويسطع على الأنام علمه حتى كان سلطانه الروحى على الناس أقوى من سلطان الملوك والامراء فى مصر وحتى خشى الظاهر بيبرس على عرشه منه فأوفد اليه يستظهر أمره ويعرف حقيقته وحقيقة دعوته خشية أن يسقطه عن العرش فلما اطمأن الظاهر الى أن السيد البدوى لا يبغى مالا ولا جاها ولا سلطانا دنيويا وأنه رجل يهدى النـــاس الى الحق ويبصرهم بطـــريق النجاة سعى اليـــــه والتمس البركة منه كما جاء فى أكثر من رواية من روايات التاريخ .

هذا ولم يقتصر فضل السيد البدوى فى مصر على نشر الهداية بين الناس وارشادهم الى طريق الحق والاخذ بيدهم الى طريق النجاة .. لم يقتصر فضله على ذلك فحسب وانما كان السيد البدوى رضى الله عنه فى مقـــدمة الذين قاموا يستنهضون همم الناس للجهاد فى سبيل الله وصد أعدائه عن البلاد . وذلك حينما أراد لويس التاسع ملك فرنسا الذى كان يلقب نفسه «بالقديس لويس» غزو مصر محاولا من جديد تنفيذ الخطة التى فشل فيها الصليبيون من قبل لاخضاع المسلمين فى الشرق الاوسط لنفوذهم والسيطرة على بلادهم .

وقد ظن لويس أنه سينجح فيما فشل فيه غيره وأنه سيتمكن بقواته وعتاده من فتح مصر والسيطرة عليها فأعد جيشا كبيرا زوده بالكثير من العتاد الحربى واتجه الى ميناء دمياط فاستولى عليها بلا مقاومة تذكر وكان ذلك فى سنة ١٢٤٩ م حتى اذا ما دخلتها جيوشـــه ووضعت أقدامها فى أرضها سار بجيوشه الى المنصورة يريد الوصول عن طريقها الى القاهرة قلب البلاد وعاصمتها .

وهنا يبرز فضل السيد البدوى فى الدفاع عن البلاد ورد الاعداء عنها . اذ قام يستنهض الهمم ويحث الناس على الخروج للجهاد فى سبيل الله ويرسل جيوشهم تباعا لقتال العدو الذى غزا بلادهم ونزل بأرضها .

وليس من المستبعد ولا من المستغرب أن يكون السيد البدوى قد اتجه مع هذه الجيوش الى المنصورة يشد أزرها ويقوى جانبها بسلطانه الروحى حتى تم النصر للمدافعين عن البـــلاد ، وحتى دارت الدائرة على أعدائهم وانهزموا شر هزيمة ، واندحرت جيوشهم ، وأسر ملكهم لويس فى دار ابن لقمان بالمنصورة على نحو ما هو مقرر ومعروف فى التاريخ .

ليس من المستبعد أن يكون هذا ، بل هو أقرب الى التصديق والعقل وان كانت كتب التاريخ قد غفلت عن ذكر شىء من مواقف السيد البدوى وكفاحه فى هـــذا الموضوع بالذات لأنها كما جرت العادة درجت عـــلى أن تنسب النصر للسلاطين والقواد . خاصة وأن السيد أحمد البدوى لا يهمه أن ينسب اليه التاريخ شيئا أو لا ينسب وانما الذى كان يهمه هو ارضاء ربه وضميره وأداء الواجب كاملا خالصا لوجه الله وقد أدى ما أداه وحقق الله

النصر الباهر للمسلمين فلا يضيره بعد ذلك أن ينسب فضل كفاحه لفلان أو علان من السلاطين . بل حسبه أن العدو لم ينل قصده من غزو البلاد ، وحسبه أيضا أن العدو قد اندحر ومنى بخيبة الامل .

والذى يؤكد عندى أن السيد البدوى خاض غمار هذه الحرب واشترك فيها فعلا الاناشيد الشعبية التى رددها الشعب بعد أن حقق الانتصار وذاق حلاوته . ومن هذه الاناشيد نشيد يقول :

السيد الجيـــد اللى من الشـــباب مد ايده
جاب اليسير واليسيرة من بلاد القوم فى حديده

ونشيد آخر يدور حول هذا المعنى قالوا فيه :

الله الله يا بدوى جاب اليسره

بل أكثر من ذلك فانه مع بقاء هذه الاناشيد الى يومنا الحاضر فان هناك طائفة من مريدى السيد البدوى تشترك فى احياء مولده وتضع على رأسها الخوذات الحديدية وتلبس الدروع الحديدية أيضا وتمشى مغللة بالسلاسل لتذكر الناس بفضل السيد البدوى وتعيد الى أذهانهم ما فعله السيد البدوى فى هذه الحرب وما كان له فيها من مواقف خالدة ، أبرزها وأظهرها فكاك الاسرى واخلاء سبيلهم بعد أن حشد قوى الشعب وخاض بها غمار الحرب .

وهذا كله . سواء كانت هذه الاناشيد ، أو خروج هذه الطائفة على هذا النحو بملابس الاسرى لا يعنى الا حقيقة واحدة هى أن السيد البدوى رضى الله عنه قد خاض غمار هذه الحرب وأبلى فيها بلاء حسنا .

وهذه الحقيقة وان كانت قد ضاعت فى غمار الاحداث والايام بسبب غفلة المؤرخين أو حرصهم على ارضاء السلاطين والامراء بنسبة كل فضل اليهم فان وجود هذه الاناشيد وعمل هذه الطائفة خير شاهد على وجود هـــذه الحقيقة الكبرى فى حياة السيد البدوى . وكم من حقـــائق تذهب مع الايام . ثم يهتدى اليها باشارة عابرة أو سطور مهملة .

والسيد البدوى لو لم يسهم فعليا فى هذه الحرب ، ولو لم يعبىء القوى الشعبية للدفاع عن البلاد ، ولو لم يخض غمارها .. أقول لو لم يفعل هذا كله لما وضع الشعب هذه الاناشيد التى كانت نتيجة لهذه المواقف الفذة والذى صوروا جانبا منها أجمل تصوير فى أبدع اطار . فالنشيد الاول اذا فسرناه ووضعنا النقاط فوق الحروف فى كلماته كان معناه ومبناه أن السيد البدوى خاض غمار هذه الحرب بنفسه وأنه لم يكتف بالوصول الى النصر الباهر فحسب . بل دخل معسكرات الاعداء وأخلى سبيل الاسرى الذين

أسروهم من المسلمين رجالا ونساء . ويعضد هذا المعنى ويؤكده أيضا النشيد الثانى ويقوى هذا وذاك حرص هذه الطائفة على ذلك المظهر حتى يومنا الحاضر .

ولو لم يكن هذا قد حدث فعلا لما أنشد الشعب أناشيده . ولما حرصوا على الاشادة بأعمال السيد البدوى وابرازها فى هذه الحرب لان فى كرامات السيد البدوى العميمة وأفضاله الاخرى غناء عن كل ذلك اذ لا حاجة به لان ينسب اليه أبناء الشعب فضلا لم يصنعه . وعملا لم يصدر عنه لانه غنى بأفضاله الاخرى .. غنى بما عدا ذلك من جلائل الاعمال التى تقربه الى الله .

على أن كتب التاريخ وان كانت قد خلت من الاشارة الى هذه الواقعة ففى كتب المناقب ما يمكن أن يكون ظهيرا لما ذهبنا اليه . وان لم يعرض بالتفصيل لما أوضحناه . فقد روى السيوطى وهو يسرد كرامات السيد البدوى « أن امرأة أسر الفرنج ولدها فلاذت به فأحضره اليها فى قيوده » ولا يقدح فى هذه الرواية أنه قد نسب الى الامام الرفاعى قبل السيد البدوى قصة الاسير وأمه التى أحضره اليها فى قيوده أيضا وفى ذلك يقول عن هذه الحادثة .

سلو أم عمر وكيف بات أسيرها ... تفك الاسارى دونه وهو موثق

فلا هو مقتول . ففى القتل راحة ... ولا هو ممنون عليه فيطلق

لا يقدح فى رواية السيوطى نسبة الحادثة بعينها الى الامام الرفاعى ذلك أن الظروف كلها تؤيد وقوعها من السيد البدوى لانه عاصر حملة لويس على مصر . ولانه أسهم فيها كما شرحنا ولان الشعب سجل مواقفه فيها على الصورة التى أشاد فيها بمواقفه أثناء هذه الحرب . أما شعر الامام الرفاعى فلا دلالة فيه بالمرة على فكاك أسير . وانما كل ما تضمنه هذا الشعر هو وصف لأسير يعانى من الاسر لا أكثر ولا أقل .

ومجموع ما تقدم من الاناشيد ورواية السيوطى . ومظهر طائفة الاسرى التى تحرص على الظهور به حتى يومنا الحاضر اذا ضم الى بعضه كون لنا مجموعة من الوثائق يمكن أن نعتمد عليها كل الاعتماد فى أثبات هذه الحقيقة الكبرى فى تاريخ السيد البدوى وهى أنه حارب الفرنسيين . وقاد جموع الشعب معه فى هذه الحرب التى انتهت بهذا الانتصار المؤزر . والتى عاد السيد البدوى منها ومعه جميع الاسرى الذين أسرهم العدو بعد أن أطلق سراحهم وأعاد اليهم حريتهم .

وانه ليدهشنى حقا وأنا أشيد بمقام السيد البدوى أن أجد من يحاول الاجتراء على مقام هذا الولى فيزعم أنه قدم مصر جاسوسا للفاطميين ليدعو لهم وليمهد لاقامة دولتهم حتى اذا أعيته الحيلة فيما قدم لتنفيذه فضل

الاقامة فى أرض مصر على العودة الى المغرب خوفا من عقاب الفاطميين وتحت ستار الولاية قضى بقية حياته فيها .

وكنت أود ألا أعير هـذا الافتراء أى التفات لولا أن البعض قـد أودعه فى بطون الكتب وحشاه فى المؤلفات على أنه حقيقة ، ولهذا كان لزاما على أن لا أدع المجال دون دحضه ودون أن أبين أنه مجرد ادعاء ان دل على شىء فانما يدل على جهل الذين أذاعوه ورددوه .

وحسبك فى هذا المقام أن تعلم أن السيد البدوى قد غادر بلاد المغرب مع أبيه الى مكة وهو فى السابعة من عمره ومنها انتقل الى العراق ثم عاد ثانية الى الحجاز ومنها رحل الى مصر وقضى بقية أيامه فيها ، وهذه الاماكن كانت بعيدة كل البعـد فى ذلك الوقت عمـا له صلة بالفاطميين فكيف يتصور مع هذا أن يكون السيد البدوى قد جاء الى مصر جاسوسا لهم وداعيا لدولتهم .

وقد يقال ان التشيع فى ذلك الوقت كان منتشرا فى العراق بل ربما كانت العراق أقوى مراكزه ولا يستبعد أن يكون السيد البدوى قد التقى هناك بمن رسم له الخطة ومهد له القيام بدوره فى مصر .

والرد على ذلك أن مصر كانت أيضا مركزا من مراكز التشيع كالعراق والتشيع لآل البيت لا صلة له على الاطلاق فى هذه الحقبـة باعادة دولة الفاطميين أو التمهيد لها .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان دولة الفاطميين التى يزعمون أن السـيد البدوى قد جاء الى مصر داعيـة من دعاتها قد انتهت وانقـرضت والسيد البدوى فى ظهر الغيب وفى صلب آبائه وأجداده ، وأنه لم يجىء الى طنطا الا بعد انتهاء حكم هذه الدولة بنحو قرن من الزمان فقد جاء الى طنطا فى سنة ٦٣٧ هـ كما مر بك فى عهد الايوبيين .

فكيف يستقيم اذن هذا الزعم وكيف يتصور أن يجىء السيد البدوى لمصر داعيا وممهدا لقيام دولة انقرضت قبل مجيئه الى الدنيـا بقرن من الزمان .

فقيه دولى

بقى بعد ذلك أن نقول ان السيد البدوى الذى يوجهون اليه مثل هذا الاتهام كان وليا من أولياء الله الصالحين وعالما من العلماء الاعلام وأنه جمع بين الحقيقة والشريعة وأدى رسـالته فيهما أكمل أداء . وقـد بقى من آثاره العلمية مؤلف فى فقه الشافعى توجد نسخ منه فى مكتبة المسجد الاحمدى بطنطا .

وحسبك أن تعلم مرة أخرى أن « ابن دقيق العيد » قاضى القضـــاة فى مصر وشيخ علمائها وشارح البخارى المشهور قد سمع بثناء الناس عـــلى السيد البدوى والتحدث بفضله فحفزه هذا على الانتقال اليه فى طنطا واختبار مدى علمه الذى يتحدث به النـــاس وما كاد يلتقى به حتى بادر بالاعتراف بفضله وأشاد بغزير علمه واعتذر اليـــه عن خوضه فى حقه وقبـــل يده ملتمسا منه الدعاء والبركة .

ونحن وان لم نكن فى هذا المقـــال بصدد التحدث فى مناقب الســـيد البدوى وتعداد كراماته الا أننا نذكر بكل فخر أن مالم يعرف من كراماته أكثر بكثير مما ظهر منها ولعل فى مقدمة هذه المكرمات حشد قوى الشعب أمام خصوم البلاد وخوض غمار الحرب ضدهم حتى سلمت مصر من شرورهم وحتى رد الله كيدهم فى نحورهم . رضى الله عنه وأرضاه ، وجعلنا من ذاكرى فضله ونبله .

أحمد عبد المنعم البهى

* * *

محمد قدرى محمد النشرتى

يقدم الشكر للقائمقام الدكتور البارع عباس الغرينى ، على عنايته وبراعته فى العملية الجراحية التى أجراها له وجعـــل الله الشفاء على يديه ببركة استمدها من المغفور والده العارف بالله الشيخ الغرينى ..

عمر بن عبد العزيز

(الخليفة الصوفى)

(٢) للأستاذ محمود شلبى

فى ذات ليلة خرج أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك يتفقد جنده ، وكان يمشى الى جواره مستشاره الأول عمر بن عبد العزيز ، واذا بصوت ينبعث نديا طريا فى أجواز الفضاء ، كان الصوت يأتى من بعيد وهو يترنم :

حى طيفا من الأحبة زارا ... بعد ما صرع الكرى السمارا
طارقا فى المنام تحت دجى الليـ ... ـل ضنينا بأن يزور نهارا
قلت ما بالنا جفينا وكنا ... قبل ذاك الأسماع والأبصارا ؟

ويثور أمير المؤمنين ، ويبعث فى طلب المغنى والذين ينشدون معه ، ويعزم على قتل خصائهم حسما للفتنة ، ولكن المستشار الامين — عمر بن عبد العزيز — يكون رأيه أن ينفوا ليس الا ، ويقول لأمير المؤمنين أن هذا تعذيب نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأخذ برأيه ويكتفى بنفيهم بعيدا عن المعسكر .

.. وتحضر الوفاة سليمان بن عبد الملك ، فيستشير وزيره رجاء بن حياة فيمن يكون الخليفة من بعده ، فيشير عليه بعمد بن عبدالعزيز فيقول « أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما يحب الخير وأهله » .

ويكتب سليمان وصيته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، انى قد وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم » ثم يختمها .

ثم يجمع الخليفة أهل بيته كلهم ويأمرهم جميعا أن يبايعوا على ما فى ذلك الكتاب المختوم .

كل ذلك وعمر بن عبد العزيز لا يعلم شيئا مما حدث ! ..

ويخشى عمر أن يكون سليمان قد أوصى له بالخلافة وهو شىء لا يرغب فيه ، فيذهب الى رجاء بن حياة ويستخلفه أن يخبره ان كان الخليفة أوصى بالخلافة من بعده له ؟ .. فيقول رجاء : « والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسره الى أمير المؤمنين »

ثم يموت سليمان بن عبد الملك .. ويجمع كعب بن حامد - أمير الشرطة - الناس للبيعة فى مسجد دابق ، ويأمرهم أن يبايعوا على ما فى ذلك الكتاب المختوم .

ثم يفض الكتاب ويقرأه على الناس فاذا فيه : « كتاب من عبد الله سليمان ابن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، انى قد وليته الخلافة من بعدى .. »

وتتقاطر الناس الى آخر المسجد حيث كان يجلس عمر بن عبد العزيز يهنئونه بالثقة التى وضعها فيه أمير المؤمنين ، ويبايعونه بقلوبهم ، فيستقبل ذلك كله بالدهشة ، ويقول كلمته الخالدة : « ان لله وانا اليه راجعون ! »

لقد كان عمر يرى فى ايلولة الخلافة اليه مصيبة نزلت عليه تستوجب الاسترجاع .. !

فأين هذه النفوس من نفوس الذين يتهالكون على حقير المناصب كما يتهالك الذباب على دنىء الطعام .. ؟

ويحمل الناس عمر بن عبد العزيز ويضعوه على المنبر ليقول لهم شيئا ، فلم يزد على أن قال : أيها الناس ، انى لست بمبتدع ولكنى متبع ، وان من حولكم الأمصار والمدن ان أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم ، وان هم أبوا فلست لكم بوال ..

أرأيت زهدا فى الخلافة أكثر من هذا .. ؟

ليس الرجل حريصا عليها ، ان انتظموا وأطاعوا كان بها ، وان اختلفوا وعصوا فاليهم خلافتهم ، يلقى بها فى وجوههم ، فانه لا يريدها .

ثم يستطرد عمر فيقول : « أيها الناس .. ان لى نفسا تواقة ، لا تعطى شيئا الا تاقت الى ما هو أعلى منه ، وانى لما أعطيت الخلافة تاقت نفسى الى ما هو أعلى منها وهى الجنة ، فأعينونى عليها يرحمكم الله .. »

أنظر كيف يكشف عمر عن خبيئة نفسه من حيث لا يدرى ..

انه يرى الخلافة وهى أعلى منصب فى العالم وقتئذ شيئا تافها ، لا ينبغى أن يكون مطلبا لنفسه العالية ، وانما المطلب هناك .. فى الدار الآخرة .. فى الجنة ..

صوفية من أرفع أنواع التصوف ، وربانية من أعلى مراتب الربانية .

ونادى عمر فى الناس بعد ذلك ، أن يقوموا لتشييع جنازة أمير المؤمنين .

وجىء بمراكب الخلافة ، وقيل لعمر تفضل اركب ، ليركب من وراءك .

وهنا انتفض عمر واستيقظ فيه احساسه العالى فقال : ما شاء الله لا قوة الا بالله .. لا أركب شيئا من هذه الدواب ، انى خليفة ولست بملك ، اصرفوا هذه الخيول جميعا ، ان معى دابتى الخاصة ، هذه بغلتى التى اشتريتها من مالى الخاص ، هذه هى التى أركبها ! ..

ثم يركب دابته التى اشتراها من ماله هو لا من أموال الدولة ويتمتم : بسم الله .. الحمد لله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ..

لم ينس الرجل آداب السنة الشريفة فى شىء . حتى فى مثل هذا الجمع الجامع ، واللحظة الرهيبة ، يذكر الله ويتجه الى الله .

ويمضى عمر ومن ورائه الناس الى دمشق لاداء واجب تشييع الجنازة ، فيحدث منه ما هو أعجب مما حدث ..

يتجه به الناس نحو قصر الخلافة فى دمشق ، ويميلون بدابته ميممين وجوههم الى القصر ، فيصيح فيهم عمر : الى أين تذهبون .. ؟

فيقول رجاء بن حياة ، الوزير ، الى قصر الخلافة يا أمير المؤمنين .

قال عمر : هذا أمر مستحيل ، أأنزل فى قصر الخلافة .. ان هذا لن يكون .. !

قال رجاء : أنت الآن أمير المؤمنين ، والمنصب له أحكامه .

قال عمر : لا أنزل الا فى منزلى الخاص .

قال رجاء وقد تولاه اليأس : لك ما شئت يا أمير المؤمنين .

قال عمر : دعونى وما ترتاح اليه نفسى .. أنا سأسأل أمام الله .. أنا المسئول عنكم جميعا .. سيرد الى منزلى الخاص ..

فهل سمعت فى أى نظام من النظم القائمة الآن فى مشارق الأرض ومغاربها ، نظاما بلغ من التواضع لله والخوف من الله ، والحرص على حقوق الشعوب ، ما بلغه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذى كان يحكم ثلاثة أرباع العالم ، ويأبى أن يركب مركبا تملكه الدولة ، أو ينزل فى منزل هو من الأملاك العامة ، أو حتى يسر سرورا ولو قليلا بتربعه على أكبر عرش فى الكرة الأرضية .. ؟

انك لم تسمع ولن تسمع ، ذلك بأنهم كانوا على كل شىء ، ونحن لسنا على شىء ..

كانوا على كتاب الله وسنة رسول الله ، يتبعون ولا يبتدعون ، ويتواضعون ولا يتكبرون ، ويزهدون ولا يطمعون .

كانوا أئمة بحق وخلفاء رسول الله بحق ..

رضى الله عنهم وأرضاهم .

والى اللقاء ، حيث نكشف عن عجائب وغرائب من سيرة الرجل .

« محمود شلبى »

* * *

أثر التصوف
في بناء الأمة ووحدتها

للسيد الاستاذ محمد عيد الشافعي

لقد من الله سبحانه وتعالى على جميع أفراد النوع الانسانى بدستور سماوى محكم قام بتسليمه الامين الاول جبريل عليه السلام الى من اصطفاه الله حاكما وهاديا ومرشدا لأم القرى ومن حولها محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعه باحسان الى يوم الدين . ومما جاء فى هذا الدستور الخالد قول الله تعالى **(ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** وأمام هذه الوحدة المقررة من مالك الملك فى كتابه لا يمكننا الا أن نعتبر أن جميع أفراد الأمة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها لبنات يتكون من اتحادهم وتعاونهم بناء هذه الامة ومجدها .

ولكى تكون هذه الأمة أمة قوية حرة رشيدة لابد لها من أمرين معا : الأول ـ هو تدعيم الناحية الاخلاقية فى أفراد الامة بحيث يكون الفرد صالحا لأن يكون لبنة فى بناء أمة وصفها الله جل وعلا بأنها خير أمة . والثانى ـ هو التسليح المادى بشتى أنواعه أخذا بقول الله عز وجل **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) لأنهما فى الواقع قوتان متلازمتان لا غنى لكل منهما عن الاخرى بل ربما كان احتياج الأمة الى التدعيم الخلقى والأخذ بأحكام دين الله أولى لانه بذلك** يستجلب نصر الله فى شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والحربية والاقتصادية والدولية . قال تعالى **(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** وليس أدل على ذلك من قول الله عز وجل **(ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)** . فلم تكن كثرة المسلمين فى العدد ولا فيما أعدوه من عدد سببا يوصلهم الى النصر فى أحرج مواقفهم ، بل كانت آفة الاعجاب فيهم بما هم عليه من كثرة وقوة سببا فى خذلانهم حتى ولوا مدبرين . قال تعالى مبينا طريق النصر : **(بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)** . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زلتم منصورين على عدوكم ما تمسكتم بسنتى) . ويقول أبو بكر الصديق رضوان الله عليه (انما تنصرون بالمدد لا بالعدد) ويقول عمر بن

الخطاب رضى الله عنه (انذنوب الجيش أفتك به من عدوه) . من هـذه النصوص الصريحة يتبين أنه ليس هناك نصر الا من عند الله ، ونصر الله لا يكون الا لمن نصره ،لذلك كانت العناية بتدعيم الناحية الاخلاقية فى أفراد الامة الاسلامية أوجب حيث أن ذلك هو السبيل الذى رسمه الله سبحانه وتعالى .

فاذا أهمل الراشدون من الامة هذه الدعامة الأولى التى يرتكز عليها بناء الامة ومجدها كان لذلك الاهمال ولا شك عاقبة من أوخم العواقب وهى أن تبدو الامة أمة هزيلة منحلة غير متحدة لتكون هدفا لكل غاصب كما كان حالنا بالامس وأخبرنا عنه رسول الله فى قوله صلى الله عليه وسلم (يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الأكلة على قصعتها . قيل أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا . بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ليذهبن الله من صدور أعدائكم الرعب وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين السبب المفضى بنا الى ذلك الضعف والى الاستهانة بنا عند الامم وهو حب الدنيا وكراهية الموت حتى قال فى حديث آخر (حب الدنيا رأس كل خطيئة) . وقال الله تعالى **(قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)** . فلا يجوز لعاقل رشيد والحالة هذه أن ينتظر تغيير حال الامة من الضعف الى القوة ومن الضلالة الى الرشد ، ومن ذل الاستعباد الى الحرية والمجد بغير أن تغير الأمة أولا ما بنفسها وصدق الله العظيم حيث يقول **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** . فان غيرنا ما بأنفسنا تحقق لنا وعد الله الثابت بقوله **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)**

وانى أقرر بيقين أن للقرآن قدسيته عند الله ، وله قدسيته فى ذاته ، وله قدسيته فى قلوب المتقين ، أما من اعتلت قلوبهم وهم الكثرة فهؤلاء ينقسمون الى قسمين : قسم متعلم الا أنه لاعتلال قلبه لبس على نفسه ليتخذ من الشبهات عاذرا لسقطاته ، وقسم غير متعلم غلبت عليه شهواته ونزعاته فلم يرع الله لا فى السر ولا فى العلن ، وهؤلاء وهؤلاء ان لم يكن للقرآن قدسيته فى قلوبهم فكيف يكون له أثر فى حياتهم وتصرفاتهم . ولذا نرى أنه من الثابت فى صحيح السند أن الرجل فى الصدر الاول كان يقع فى بعض الاثم ولم يره أحد مطلقا من البشر ولكنه يذهب فى ظل عقيدته وايمانه

وخلقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له لقد فعلت كذا يا رسول الله فانظر الى حكم الله فيما فعلت . أما اليوم فيحتال الفرد ليفعل ما شاءفى ظل القانون حتى لا يقع تحت طائلته وان أصاب غيره الضرر من فعلته

اذن ليست العلة علة القانون وانما العلة علة وجود من يحترم القانون

قال تعالى (**ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**) وليس من الحكمة فى شيء أن نذهب بمرضى القلوب الى أطباء العيون وانما الواجب يحتم علينا أن نذهب بهم الى المختصين بمعالجة القلوب والعالمين بأصل الداء .

واذا كان التصوف الاسلامى علم وعمل وله كأى علم من العلوم حد وموضوع وثمرة . فحده التخلى عن كل خلق مذموم والتحلى بكل خلق محمود وموضوعه أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية ، وثمرته اصلاح الفرد ظاهرا وباطنا فضلا عما له بعد ذلك من الناحية العملية والالهية ولا شك أن أهل الاختصاص فى ذلك العالمون بأصل الداء والعاملون على اصلاح القلوب فى الامة هم السادة الصوفية ومن كان معهم على هديهم ، وعلى هؤلاء السادة ومن كان على هديهم تقع المسئولية ان لم يعملوا على تحقيق ذلك جاهدين فان الله عز وجل لا يكلف نفسا الا ما آتاها وقد آتاهم الله ذلك العلم واختصهم به ومن ثم كانت المسئولية واقعة عليهم دون سواهم من الأمة .

وقد يبدو هذا القول غريبا عند من يظن أن التصوف انما هو رايات ترفع ودفوف تدق وزجاج يؤكل وشطحات ينطق بها المتصوف تقليدا أو وهو مغلوب عليه ، ولكن ليس هذا قطعا هو التصوف . وانما التصوف هو الخلق والأخذ بالعزيمة فى دين الله تعالى مع الاقبال عليه بكنه الهمة وتجريد القصد الا منه وله بحيث لا يريد العبد غير مولاه . ولا أدل على ذلك مما أثر عن القوم فيقول الامام محيى الدين بن عربى فى باب التصوف من فتوحاته :

« التصوف علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب »

وسئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

كان خلقه القرآن وان الله أثنى عليه بما أعطاه من ذلك فقال : « **وانك لعلى خلق عظيم** . » ولذا يقول الامام الجنيد رضى الله عنه : « الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقه . » وسئل رضى الله عنه : ما علامة الايمان فقال علامته طاعة من آمنت

به والعمل بما يحبه ويرضاه وترك التشاغل عنه بما ينقضى ويزول . ويقول الامام الرفاعى رضى الله عنه : يظنون أن الطريقة تنال بالقيل والقال أو بكثرة المال لا والله ما هى الا طريقة الذل والانكسار واتباع الكتاب وسنة النبى المختار .

ويقول رضى الله عنه ليست الطريقة تورث عن الأب والجد ولكنها طريقة العمل والجد والوقوف عند الحد وذر الدموع على الخد . ويقول الامام الشعرانى

التصـــوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصـــوف والسنة . ولذلك نرى حجة الاسلام الامام أبا حامد الغزالى رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : لقد علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطـــريق الله خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو اجتمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقـــول القائل فى طريقـــة أول شرط لها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله .

من هذا الفهم للتصوف ومن هذه العقيدة فى اصلاح الامة ومن استشعار النفس بهذه المسئولية فان علينا أن نعمل جاهدين على استغلال الطـــاقة الروحية المخزونة فى نفوس أبناء الأمة الاسلامية حتى تتعادل القوة الروحية مع القوة المادية فى العالم الاسلامى فيستقيم أمره وذلك بتدعيم الناحيـــة الاخلاقية فى عموم أفراد الأمة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها حتى تصل الأمة الى ذروة المجد والله الملهم الى الرشد سبحانه .

« محمد عبد الشافعى »

نقدم لك

الطريقة المصلحية الخلوتية

بقلم الاستاذ عبد العزيز المصيلحى
شيخ الطريقة المصيلحية الخلوتية

هى احدى الطرق الصوفية التى انتشرت فى القرن التاسع عشر وهذا القرن العشرين انتشارا كان له أثره العظيم فى تهذيب النفوس والارشاد الحق الى طريق القوم لما أسست عليه من التمسك بآداب الشريعة والسنة الغراء بعيدة عن كل ما لا يتفق وروح الدين فلا عجب ان كان انتشارها بين أولى العرفان من العلماء العاملين فى جميع أنحاء البلاد مدنها وقراها .

منشئها : العارف بالله عالم الشريعة والحقيقة جدى المغفور له الشيخ حسين المصيلحى أحد علماء الازهر الاعلام فى وقته عاصر الشيخ الباجورى والشيخ الشبراوى والشيخ البهى وغيرهم من فطاحل العلماء وكانت له بينهم المنزلة السامية وعمر طويلا نحو ١٢٠ سنة فأفاد بعلمه الكثيرين . واشتغل بالتصوف ومال الى طريق القوم على عادة أفاضل العلماء فى ذلك الوقت من التخلى عن حطام الدار الفانية والتحلى بالصفات الكريمة .

وكان قبل ذلك قد جاء الى مصر العارف بالله سيدى مصطفى البكرى صاحب ورد السحر ونشر الطريقة الخلوتية فى البلاد فأخذ عنه عالم زمانه شيخ الاسلام الشيخ الحفنى وغيره من أفاضل وقته وأخذ عن الشيخ الحفنى سيدى محمد عبد الله الشنتناوى وأخذ عن الشيخ الشنتناوى سيدى حسين المصيلحى وكان فى مقدمة من سلكوا الطريق وفازوا بالهداية حتى لقد قال سيدى محمد المنير السمنودى مؤلف تحفة السالكين عند ذكر سلسلة

الطريق المباركة « وهو » أى الشيخ الحفنى « لقن الفقير محمد بن حسن السمنودى الشهير بالمنير ولقن أيضا سيدى محمد عبد الله الشنتناوى ولقن سيدى عبد الله الشنتناوى سيدى حسين المصيلحى ووقع الفتح الاكبر » .

وقام جدى المذكور بنشر الطريقة بعد أن ترك التدريس بالازهر داعيا الى الله مهذبا للنفوس مطهرا لها مما ران عليها من حب الدنيا فاقبل عليه المريدون من كل فج حتى صاز كعبة القصاد لقدمه الراسخة فى العلم ولما ظهر عليه من آثار الفتح الالهى . وكان مجلسه لا يخلو من تدريس علوم الدين أو الذكر أو قراءة ورد حتى ذاع صيته وأخذ عنه خلفاء كثيرون فى مديريات : الشرقية والدقهلية والغربية والمنوفية وتبعهم كثير من المريدين الذين لا يزال أثرهم باقيا حتى الآن .

وقد كان رحمه الله مثالا عاليا فى الزهد والورع والمحافظة على آداب الدين مدة حياته الطويلة المليئة بالخيرات . وقد ذكرت الخطط التوفيقية شيئا عنه فى الجزء الخامس عشر طبع بولاق عند التكلم على بلدته المصيلحة. وتوفى الى رحمة الله يوم الجمعة ٧ من شوال سنة ١٢٨٤ هجرية كما كتب ذلك بالحفر على باب ضريحه الموجود ببلدة المصيلحة لا كما جاء بالخطط . وقد ألف رسالة تسمى كفاية القاصدين أتى فيها على ما يجب على المكلف معرفته من علم التوحيد وما يلزمه من الاحكام الفقهية وكذا رسالة صغيرة فى تقسيم النفوس السبعة ولكنهما لم يطبعا وأرجو أن أوفق لطبعهما ونشرهما بين المريدين من طريقتنا وغيرها لما فيهما من فوائد جمة لا يستغنى عنها من يريد سلوك طريق القوم . وبعد وفاته قام بأمر الطريقة بعده جدى الشيخ حسن المصيلحى فزاد انتشار الطريقة لما ظهر عليه من الفتوحات الالهية والاحوال الربانية وكثر أتباعه وأشياعه ونال فى الولاية درجة عظيمة وتوفى سنة ١٣١٥ هجرية وتولى الخلافة بعده عمى الشيخ مصطفى المصيلحى ناسجا على منوال سلفه وتوفى سنة ١٣١٦ هجرية وقام بالامر بعده ابن عمى المغفور له الشيخ محمد الصادق المصيلحى فازدهرت الطريقة فى عهده وتوفى سنة ١٩٤٤ م وخلفه نجله الاستاذ أحمد سعد الدين المصيلحى الى أن نزل عن الخلافة لى بمحض ارادته واجماع أسرتنا فى ٦ أغسطس سنة ١٩٥٤ وأقر ذلك المجلس الصوفى الاعلى فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٥٤ .

وهأنا دائب فى نشر الطريقة ما استطعت مستمدا من الله العون والتوفيق جاعلا نصب عينى نشر تعاليم الدين وآدابه مقتديا بسنة النبى الكريم وسنن السلف الصالح من أئمة التصوف وشيوخه الذين أناروا للناس طريق الهدى والخير والصراط المستقيم ٠

أوراد الطريقة : ورد السحر ٠ ورد السـتار ٠ منظومة البكرى ٠ استغسار البكرى ٠ حزب النووى ٠ ويتبع ذلك سور تقرأ فى أوقاتهـا المحددة ٠

العهود : تعطى العهود والاجازات لمن تتوفر فيه الاخلاق الكريمة ٠ ومما تنبغى الاشارة اليه فى هذا المقام أنه تقام حضرات فى البلاد التى بها خلفاء أو مريدون فى ليال معروفة تتلى فيها الاوراد وتقام حلقات الذكر الشرعى

هذا وقد كان يقام لجدى الاكبر منشىء الطريقة مولد سنوى كبير يقـام رسميا أسبوعا كاملا قبله أسابيع وبعده أيام غير أنه قد تعطلت اقامته بعد سنة ١٩١٤ على أثر الحرب العالمية الاولى وكانت تأتى اليه الزوار من جميع أنحـاء القطر وتقام فيه السرادقات والشـعائر الدينية من الاذكـار وقراءة الاوراد وتوزع الصدقات ويعم الرخاء البلدة وما جاورها من البلدان ويعتقد الناس أنه رحمة من الله نزلت بهم ٠

وانى أرجو أن يوفقنى الله لاعادة هذا المولد متبعا فيه ما جعلته نصب عينى وما أتبع فيه أسلافى من المحافظة على آداب الدين وحتى يعلم الناس أن الصوفية دعوة عالية الى الله يقصد بها تطهير الانسانية لا كما يزعم من يريدون اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الضالون ٠

عبد العزيز المصيلحى

***

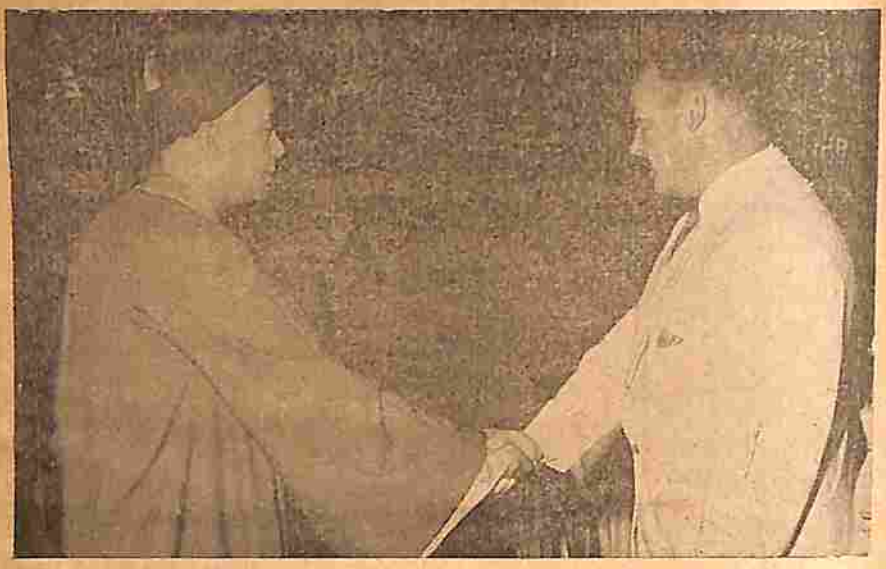

السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل ونائب السيد رئيس الجمهورية فى حفل مشيخة الطرق الصوفية بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو يصافح سماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

سيادة الاستاذ حسين الشافعى نائب الرئيس فى حفل المولد وبجواره سماحة الاستاذ محمد محمود علوان ..

آداب المريد

للأستاذ محمد محمود علي بحبح

شيخ طريقة السادة السطوحية الاحمدية

المريد هو من سلك طريق القوم على يد شيخ مرشد يدعوه الى معرفة مولاه والتخلي عما سواه ويرشده الى مجاهدة نفسه ومخالفة هواه · ويعرفه طريق السلامة في دنياه · وباب النجاة في أخراه · وآداب المريد نوعان ·· آدابه في خاصة نفسه · وآدابه مع شيخه ·· أما آدابه في خاصة نفسه فيوقن بأن الله ناظر اليه ومطلع عليه · وأنه ان لم يكن يراه فهو يراه · وبذا يشتغل بذكره قلبه قائما أو قاعدا سائرا أو مشتغلا بحرفته لأن اشتغاله بحرفته لا يمنعه أن يكون لربه ذاكرا · ومنها أن يترك قرناء السوء ولا يجالسهم بل يجالس الصالحين والاخيار ·

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

ورد أن الله سبحانه وتعالى أوصى الى سيدنا موسى عليه السلام : « لا تجالس أهل الهوى فيحدثوا في قلبك ما لم يكن » ، فصحبة الاخيار تورث الخير يقينا · وصحبة الاشرار تورث الشر كما قال بعضهم

الروح كالريح ان مرت على عطر طابت وتخبث ان مرت على الجيف

ومن آداب المريد مع نفسه · أن يكون تاركا للفضول يأخذ الكفاية من المأكل والمشرب والملبس والمنكح ··

قال الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه « جعل فضول المطعم والمشرب في الدنيا سببا لقسوة القلب وأبطاء الجوارح عن الطاعة والصمم عن سماع الموعظة » ، ومنها : أن يبتعد عند خلوته وذكره عما يحب من زوجة وولد لئلا ينصرف قلبه بهم عن ربه ، بل يغلق بينه وبينهم حال الذكر بابا · وكلما كان مكان الذكر محدودا كان أجمع للخاطر وأبعد للشاغل · ومنها أن يبتعد ما استطاع عن حب الدنيا لأن محبة الله لا تدخل قلبا فيه حب الدنيا ·قال عليه الصلاة والسلام : « حسب ابن آدم من الشر الا من عصمه الله تعالى أن يشار اليه بالاصابع في دينه أو دنياه » ، ومنها أن لا ينام على جنابة وأن يكون دائم الطهارة · وأن لا ينظر لما في أيدي الناس صابرا عند البلاء شاكرا في السراء · يحاسب نفسه كل ليلة على ما قدمت فان كان خيرا حمد وشكر · وان هفا تاب وأناب واعتذر · يتحرى الحلال · ويصون لسانه عن اللغو · وبصره عن النظر ما أمكن ، فان النظر سم زعاف

وسهم نافذ . قال الامام الجنيد : من أكبر القواطع على المريد مصاحبة النساء والاحداث ومعاشرتهم . وينبغى أن يترك المزاح ما استطاع فكثرته تميت القلب . وان ضاق صدره قصد شيخه أو الصفوة من اخوانه فبمجالستهم تزول الكروب . وتتلاشى الهموم وتصفو القلوب . وأن يكون خائفا على الدوام من ربه راجيا عفوه لا يرى لنفسه عملا . وأن عمله لا يحقق أملا . بل الطمع كله فى فضل ربه ورحمته . وهذا من فضله وبمشيئته .. وأن يحب لاخوانه ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها . ويعاملهم كما يحب أن يعاملوه . ويتمنى لهم من الخير ما يتمنى لنفسه ولمن يحب من أهله .

أما آدابه مع شيخه . فأولها . أن يحترمه فى غيبته كما يحترمه فى حضرته . وأن يلاحظه فى سفره وحضره بقلبه ليحوز دائما بركته . ولا يفشى له سرا . ويخصه بتعبير رؤياه . وينهى اليه خواطره . ويحافظ على أوراده . ويكرم من يكرمه . واذا وجد المريد فى نفسه عجبا أو رياء بسبب عمل من أعماله فليبادر بشرحه لشيخه لكى يدله على الدواء . لأن كتمان ذلك يورث الرياء والنفاق فى القلب . ومنها عدم رفع الصوت فى حضرته . وأن يكون قائما بالخدمة فى مجلس شيخه لأن الخدمة عند القوم من أفضل الاعمال الصالحة . وأن لا يتساهل فى توقير شيخه اذا رأى منه مباسطة . فربما باسط الشيخ تلامذته حتى اذا ما عرف فيهم الصدق والجد شدد وأعرض وأظهر الجفوة لتموت نفوسهم عن الشهوات وتفنى فى حب الله جل جلاله .

وبالجملة يكون المريد مع شيخه تابعا ، مؤدبا ، مهذبا مطيعا . معتقدا ظنه بشيخه حسن . وخلقه خلق الصالحين . صابرا كأيوب . كريما كابراهيم الخليل . قويا كموسى الكليم . مسامحا كعيسى بن مريم عليه السلام . متخلقا فى الجملة بخلق نبينا الكريم ..

هذه هى بعض آداب المريد سطرتها وحررتها لتكون قواعد يتمسك بها المريدون . ويطبقها على أنفسهم الراغبون . وعلى الله التوفيق . الى أقوم وأهدى طريق : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** » صدق الله العظيم .

محمد محمود على بحبح

* * *

خواطر الحرية

ما قل .. ولم يدل

الاستاذ احمد الصاوى محمد ، عرفناه كاتبا يتعشق باريس ، ويتغنى بالحياة الضاحكة فى باريس ، وزاملناه صحفيا ، رشيق الاسلوب والعبارة ، يحاول دائما أن يكون خفيف الظل والدم فيما يكتب .

ورشاقة الاسلوب ، وخفة الظل ، يستهدفان دائما المداعبة والاثارة ولو على حساب الصدق والحق .

ولقد أراد الاستاذ أن يداعب وأن يثير ، وأن يمتع قراءه بمفارقة طريفة ، فكتب فى « ما قل » متعجبا ومستنكرا أن يقيم رجال الطرق الصوفية احتفالاتهم بمولد الرسول الكريم فى حديقة الحرية .. انه يخشى على الزهر الغض ، ، والخضرة اليانعة ، والاشجار الباسقة من رواد حفل النبى صلوات الله عليه . فى يوم ذكراه ومولده .

انهم جمهور من المؤمنين المتواضعين ، فما لهم وهذا المكان الجميل البديع على ضفاف النيل وفى قلب العاصمة .

وانها مناسبة دينية جليلة ، أو هى أعظم المناسبات الاسلامية الجليلة التى يقدسها كل مسلم ، فلنقيمها فى الصحراء ، أو فى الجبال . أو فى مكان بعيد عن أعين الناس ، وعن الجمال والبهاء .

ثم أراد الاستاذ أن يبالغ فى الاثارة والرشاقة وخفة الظل ، فكتب فى « ماقل » مهللا ومكبرا ومعجبا بأن حديقة الحرية قد من الله عليها وأكرمها فتقرر أن تكون ساحة لمدينة الملاهى التى ستقام خلال أيام المعرض فى شهر ديسمبر القادم .

ألا ترون معى أن الاستاذ خفيف الدم ، رشيق العبارة ، ان حديقة الحرية بجمالها وزهورها ونباتها لا ينبغى لاقدام رواد المولد النبوى الشريف ، ان تجوس خلالها ، لانها اقدام مؤمنة عابدة ، خشنة قاسية . تدمر الزرع والزهر . أما اقدام رواد الملاهى فهى رشيقة كأسلوبه ، خفيفة كظله ، فلا خوف على الزرع والزهر منها . رشاقة وخفة ظل يحسد عليهما الاستاذ الجليل !؟

* * *

أخبار صوفية

مولد السيد أحمد البدوى

● احتفلت مدينة طنطا، بل احتفل القسم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة بمولد الامام الكبير السيد احمد البدوى احتفالا رائعا. وأقام مشايخ الطرق الصوفية أكثر من مائة سرادق فى الساحة الكبرى للمولد ، عمرت طوال أيام أسبوع الاحتفال بتلاوة القرآن الكريم ، وذكر الله ، وكلمات الوعظ والارشاد ، والبر بالفقراء . وكانت روح المحبة الاسلامية والاخاء فى الله ، والفرحة الغامرة بذكرى القطب الكبير تشمل الجماهير الضخمة التى هرعت من كل مكان . وأطلقت الصواريخ فى صور بديعة رائعة مما زاد فى سرور الناس وابتهاجهم .

وقد زار السيد اللواء عبد الحميد عارف مدير الغربية نائبا عن السيد رئيس الجمهورية سرادقات مشايخ الطرق . وشهد الليلة الختامية، واستمع الى الكلمة الرائعة التى ألقاها سماحة السيد محمد محمود حلوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى الذكرى الكريمة ، حيث عرض تاريخ السيد البدوى وجهاده ، وتحدث عن التصوف ورسالته وأثره فى التربية الاسلامية ، وانماء القوة المعنوية ، واحياء المثاليات الروحية العالية .

ثم أعلن سماحته فى قوة مبايعة رجال الطرق الصوفية فى كل مكان للسيد الرئيس جمال عبد الناصر على الجهاد والفداء والنضال فى سبيل العروبة والاسلام .

كما ألقى الاستاذ طه عبد الباقى سرور فى سرادق المشيخة العامة ، فى الليلة التى سبقت الليلة الختامية ، كلمة جامعة عن التصوف وتاريخه ورجاله ، وانه هو الذى صان الأمة الاسلامية من الغزو الخارجى، والانحلال الداخلى ، وصمد على التاريخ فى وجه التيارات الالحادية والمادية ، وتحدث عن معنى الولاية . وان الولى الكامل . هو المجاهد المناضل ، فى سبيل اعلاء كلمة الله . وهداية الناس الى الحق والخير والرشاد .

● حضر مولد السيد البدوى فى هذا العام أكثر من نصف مليون احتشدوا من سائر أنحاء الجمهورية العربية .

● كان الاحتفال فى هذا العام نموذجيا فقد خلا من المراقص والملاهى والطبول والزمور والبدع التى كانت تنال من جلال الذكرى وروعتها .

● أدت اللجنة التى كونها سماحة شيخ المشايخ برياسة السيد محمد يحيى واجبها على الوجه الاكمل. ومنعت فورا كل ما رأت انه يخالف رسالة التصوف وآداب الاسلام .

● أقام الاستاذ احمد كامل البهى مأدبة غداء حضرها سماحة شيخ المشايخ ، وسيادة مدير الغربية وحكمدارها وكبار رجال الادارة ، وصفوة مختارة من العلماء والادباء .

● **احتفل فى الاسبوع الماضى بمولد العارف بالله القطب الكبير السيد ابراهيم الدسوقى ، وسنعرض لوصف احتفالات هذا المولد الكبير فى العدد القادم ان شاء الله .**

● تم تشكيل لجنة لتنظيم الموالد ، وستقيم اللجنة محطة اذاعة داخلية فى كل مولد ، لارشاد الرواد ، واقامة المحاضرات ،واقامة نقط للاسعاف والحريق ،وعرض أفلام سينمائية وتمثيليات وأغانى اجتماعية .

وسيطبق كل هذا فى أول مولد نموذجى . وهو مولد السيد ابراهيم الدسوقى .

● **أقيم فى الاسبوع الماضى حفلا دينيا بمسجد الامام الحسين اعلانا عن ابتداء أيام الاحتفال بمولده الكريم . وقد ألقى الاستاذ السيد حلمى عرفه وكيل المسجد كلمة بهذه المناسبة . كما ألقى الاستاذ محمود جبر قصيدة عامرة الابيات فى ذكرى الامام العظيم .**

● احتفل السيد صلاح الدين عبد الله العفيفى ونواب وخلفاء الطريقة العفيفية بمولد العارف بالله السيد عبد الوهاب العفيفى . وكانت الليلة الختامية فى مساء يوم الخميس ٢٣ اكتوبر عام ١٩٥٨ عامرة بالبركات والخيرات

● ألقى الاستاذ محمد ابراهيم البطاوى محاضرة فى دار الرابطة الاسلامية عن التصوف والروحانية الحديثة . وقد أثبت فيها زيف الكثرة الغالبة من هذه الوساطات الروحية فى مصر . كما أثبت أن التصوف هو الطريق الموصل للروحانية الحقيقية .

احيـــاء علوم الدين

للامام الغـــزالى

اعتزمت مشيخة الطرق الصوفية ، اصدار الكتاب الخالد « احياء علوم الدين » للامام الكبير الغزالى . كاتب التصوف الاول . فى أجزاء صغيرة لتعميم الانتفاع به بين جماهير الصوفية فى العالم الاسلامى .

على أن يخرج محررا تحريرا علميا ومبوبا تبويبا حديثا وقد تألفت لجنة علمية من كبار رجال الادب والتصوف للاشراف على هذا المشروع العلمى الجليل .

(طبعت بمطابع جريدة القاهرة)
٢٦ شارع منصور ت : ٣٠٨٠١ - ٣٠٨٢٤